الباب الثاني

المجتمع

أصالة قبائل يافع وآثارهم

ذكر الهمداني في كتاب الإكليل أن ناعته بن شرحبيل خلف زيد بن ناعتة، فأولد زيد قاول بن زيد، فأولد قاول حجيراً وشرحبيل ويافع السرو، ويافع قبائل ضخمة مرهوبة الجانب شديدة الشكيمة ذو إباء وشمم وعروبة يعربية، وهم دائماً لا يدينون لسلطان، وإقليمهم فسيح ومخلاف واسع، وقبيلة يافع ممن هبت لنداء الإسلام وكانت طليعة جيش المسلمين الفاتح لمصر، وكان ميسرته شرحبيل بن شهاب اليافعي الرعيني الصحابي وحسان بن زياد اليافعي، واجتازوا نهر النيل إلى الضفة الغربية وركزوا العلم فيها، ومن ذلك اليوم سميت تلك المنطقة الجيزة، وأمر عمر بن الخطاب الجيش ألا يتجاوز البحر، فمنع اليافعيون ومن معهم من القبائل، وقالوا: دعنا فإن أسوارنا صدورنا، ونبغ منهم جماعة من المحدثين، منهم: عبدالله بن وهب اليافعي، وممن اشتهر في الوطن قاضي صنعاء عبدالله بن أسعد اليافعي ومنصور بن نصر بن عبدالرحمن اليافعي، وهو القائل:

إن كنت تسأل عن قومي وعن نسبي
كتب التواريخ والأنساب تكفينا
فنحن من يافعٍ حزْنا الأولى حسبا
من منتقى يافع قحطان داعينا
من أيفعت في سماء المجد معلنة
للعز تدعو وللعليا تنادينا

وولد ليافع بن قاول بلدة وجحيملان يافع، ومنهم انتشرت قبائل يافع وهم أنجد حمير باليمن: بني قاصد والأريون وأدان والذراحن وأفلح واحتفظت بعضها باسمها القديم مثل ذراحن ومفلح، ومن قبائل يافع من سكن جُبن وبعض الشعيب وبلاد خَلَّه وشكع، وولد لمالك بن الحارث جد يافع ذو المحول والقيل وخيلة ومفلح من ثراة آل المفلحي المنتسبون لعبد الله بن محمد بن علوي بن نجاء بن عليان بن أرحب وبني يافع ابن مالك الحميري، ومن أبناء يافع الصحابي الجليل مبرح ابن شهاب - الذي ينتسب إلى عمرو بن يافع الرعيني - أحد وفد رعين وحسان بن زياد اليافعي وهو الذي أنقذ المرأة من جنود الروم وقتلهم.

وذكر الهمداني وجاءت بالنقوش أن جحيملان وبلدة وكلاهما بيافع ومنهم الأريون والذراحن وبنو قاصد والأبقور وبنو جبر وكلد وأملوك يافع وبنو مليك وكلها بيافع وما جاورها وثوبة وبها سمى وادي ثوبة بأجعود يافع، وشكع بلد وحص من بلاد يافع المفلحي، وثمر بيافع، وذي ناخب والأهجور بيافع السفلى، والحلميون والبعض قال الحالميون بنو مثوب الأكبر بن الهميسع بن حمير ابن سبأ.

ذكر صلاح البكري والهمداني في كتبهم عن اليمن أن يافع أعظم قبائل حمير وأشدها قوة وبأساً وأصعبها مراساً وأكثرها عدداً، ولبسالتهم وكرامتهم في النجدة لغيرهم فقد استعانت بهم جل قبائل الجنوب حين يهجم عليهم جائر أو غائر، والعبادلة سلاطين لحج فخذ منهم آل سلام وهم فخذ من يافع، ولذا كتب سلطان يافع سيف بن قحطان اليافعي العفيفي لآل بن سلام هذه الوثيقة كتب فيها: "خطنا الكريم شاهد بيد الشيخ سلام بن علي العبدلي بأنه منا وإلينا، وأنه حليف ومن جملة قبائل كلد، وخطنا شاهد بيده بتاريخ شهر رجب سنة

١١٣٥هـ" وذكر أحمد بن فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن: "وآل سلام من يافع وأن السلطان فضل بن محسن العبدلي كرّ بمجموع يافع على جنود الإمام في لحج وحاصروهم حتى أجلوهم من لحج وعدن، واستولى يافع على عدن ولحج وأبين في عهد العثمانيين باليمن من سنة ١٠٤٢هـ إلى ١٠٥٤هـ وطردوا جنود اليمن الشمالي من حدود بلاد يافع العليا والسفلى ولحج وأبين والشعيب وجبن والربيعتين والظاهر وحرير وحالمين، وكانت الحروب بينهم إلى نهاية سنة ١٣٣٧هـ وتدخل الانجليز بينهم في عام ١٣٣٧هـ وعمل بينهم الصلح.

وقد تأمروا في حضرموت، فأمير تريم عبدالله بن عوض اليافعي، وأمير الشحر ناجي بن علي بن بريك اليافعي، وعلى المكلا الأمير محمد بن عبد الحبيب الكسادي اليافعي، وكان الحكام اليافعيون عدلاء مع الرعايا وكانت شبام بيد اليافعي، ودارت الحروب بين الكثيري والقعيطي اليافعي مؤسس الدولة القعيطية بحضرموت.

ويافع هم العليا يافع بني مالك ومكاتب يافع السفلى الخمسة يافع بني قاصد، وتنقسم يافع إلى مكاتب، وتنقسم المكاتب إلى قبائل، والقبائل إلى أفخاذ.

قبائل يافع

يافع بني مالك يرجعون إلى يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعيني الحميري، انظر الهمداني وقبائل يافع العليا من بني مالك تنقسم إلى ستة مكاتب وهي كما يلي[١]:

المكتب الأول: مكتب المفلحي غرب يافع المحادد لبلاد ردفان وحالمين واليهري والموسطي، ويتقسم المفلحي ثلاثة خموس: آل مفلح ثلث، والجبل لعلي: سليماني وذرحاني ودهرشي ثلث، والمشألي ثلث، وكل ثلث من هذه يرأسه شيخ، وكل قبيلة لها شيخ ويرأس المكتب بيت المفلحي بالجُربة عاصمة المكتب.

وأولاد عبد الله بن مُحُمّد ستة بيوت بنفس الجربة، والسابع بالربع بيت بن جوهر، وأولاد عبد الله بن مُحُمّد: بيت بن يحيى، وبيت بن حسين عمر، وبيت بن محسن، وبيت القديمي، وبيت عيال بن عبد الهادي، وبيت بن محسن عمر ضماء، وإليهم بيت بن ويس المرافق للجد العسكري، أما الآن فقد وفد إليهم وساكنهم بيوت أخرى وكأنهم اخوة لهم، وبيت بن عبد الرب في نعمان أصله من الجربة، والمفالحة

(١) التقسيم الوارد هنا فيه نظر، وتنقصه معلومات كثيرة، ومن أراد التوسع يراجع كتاب المؤرخ حمزة لقمان عن القبائل اليمنية، وكتاب الموسوعة اليافعية للشيخ نادر العمري اليافعي الذي سير النور قريبًا - إن شاء الله - وهو شافٍ كافٍ.

في خِلِه وما إليه، وناس نزحوا من الجربة بالراشية مخلاف إب، وتنقلت الناس إلى كل بلد وهذه حياة البشر في كل بقعة.

والمفلحي تتعدد قبائله وتمتد حدوده من جنب المسعدي بحرياً وشرقياً والعياسئ شرقاً وإلى بَنَا قرب النجاد شمالاً إلى بنا العسكرية محادد ردفان (جسر بنا الآن) إلى سيلة وطن جنوباً إلى بير العروس وحدود الربيعي.

المكتب الثاني: الموسطي ويرأس الموسطة بيت النقيب بالقُدمة، وتنقسم الموسطة إلى: المسعدي والحوثري والرشيدي والعيسائي والسعيدي والخُلاقي، وكل قبيلة يرأسها عاقل في القبيلة.

المكتب الثالث: الضُبي ويرأسه بن عاطف جابر بذي صِرا، وينقسم الضُبي إلى عدة قبائل وكل قبيلة يرأسها عاقل تسمع قوله.

المكتب الرابع: البُعْسي ويرأسه بن ضباعي، وينقسم البعسي إلى عدة قبائل وكل قبيلة يرأسها عاقل يسمع قوله.

المكتب الخامس: الحضرمي بشِبْر الحضارم ويرأسه بن غالب الحضرمي، وينقسم الحضرمي إلى عدة أقسام من القبائل في الجبل إلى السيل، وكل قبيلة يرأسها رجل معروف يمثلها في كل الأمور.

أما قبائل الحد (حد يافع العليا) فهي تتبع مكاتب يافع العليا بني مالك: البكري يتبع المفلحي، والخلاقي يتبع الموسطي، والفردي والداوودي يتبعان الضبي، ومكتب الحضرمي له من أتباعه وأصالته، وذلك عند الطلب لأية مخرج، وكانت بلاد الرصاص سابقاً أحد المكاتب من يافع، وكذا الحميقاني وما إليه، وكل مكتب له تقاسيمه الخاصة به وله حدود معروفة وعوائد منتظمة عندهم. ويرأس يافع العليا

والسفلى سابقاً بن عيدورس[١] في القارة.

ويافع بني قاصد يرأسها بن عيدورس في القارة، ويافع بني قاصد هو يافع السفلى إلى أبين، اليافعي حدوده إلى ساحل البحر، وينقسم يافع بني قاصد المسماة بيافع السفلى إلى خمسة مكاتب، وكل مكتب ينقسم إلى عدة قبائل والقبائل إلى فخائذ:

مكتب اليهري وهو مقسَّم إلى عدة أقسام وقبائل وفخائذ[٢]، ومكتب اليزيدي وينقسم إلى عدة أقسام وقبائل ويرأسه البطاطي، ومكتب السعدي وينقسم إلى عدة أقسام وقبائل ويرأسه العمودي، ومكتب الكلدي وينقسم الكلدي إلى عدة أقسام وقبائل يرأسه بن عطية، ومكتب الناخبي وينقسم الناخبي إلى أقسام وقبائل[٣].

وبهذه المناسبة يقول أحد الشعراء على المكاتب وهو الشاعر المشتهَر من العادي الربيعي:

خمسة مكتب قفا دولة ... وللهرتات نَبَّاله
الحرب قد هم من ابتاله ... والحق من بينهم مأزون
طريقك المكتب الغلاب ... ذي به عُوَل كم من اعصر ناب
نمار يتناهمو وذياب ... وقطعهم عالعدامسنون

المكتب الغلاب يقصد به مكتب المفلحي لأن القصيدة أرسلها إلى جبل القضاء إلى ابن مقبل، وهو يقصد عند مروره ببلاد المفلحي

(١) هذا هي زمن المؤلف.
(٢) ويرأسه بن سبعة.
(٣) ويرأسه الكهالي.

والخمسة المكاتب يقصد بها يافع السفلى.

وتُقسّم قبائل المكاتب إلى أرباع واخماس واسداس حسب كثافة القبائل، وكل قسم يرأسه شيخ، وتقاسيم فروع للتقاسيم الكبرى وكل قسم يرأسه شيخ أو عاقل في القرية أو العصبة وعند تنصيب شيخ أو عاقل يحضره معاريف المنطقة.

كما أن لكل هذه المكاتب شبه مجلس نيابي أو شورى لحل القضايا في المكتب، ولها نُظُم وأُسُس وعادات يتقيدون بها، وكان لقبائل يافع قوانين محكمة في كل مرفق من مرافق الحياة وقوانين منظمة يتقيد بها كل الأفراد، وكل فرد يخالفها يعتبر مخالف لهذه النظم السائدة، ولكل مخالفة تحديد الجزاء والعقوبة بينهم حتى لأبسطها مما جعل الجميع يتقيدون بها ويحافظون عليها[1]، وسوف نوضح كل شيء بالتفصيل بما يناسب الموضوع التابع لتلك المناسبة إن شاء الله تعالى أسألة العون والتوفيق، وأرجو العفو والمعذرة فإني قد أكون مخطئاً أو نَسْيَان لبعض الأمور في الزيادة أو النقصان أو أجهل ذلك الشيء.

(١) بعض هذه الأعراف فيها مخالفة واضحة للشريعة الإسلامية اتخذوها تشريعاً عاماً للحكم، وهذه من المصائب الكبيرة التي ابتليت بها كثير من القبائل.

سكان يافع

وسكان مناطق يافع العليا والسفلى سابقاً من القبائل الأصيلة في اليمن والتي احتفظت بأصالتها العربية، وهذه القبائل تعتمد في حياتها المعيشية على عدة عوامل وعدة جوانب منها الجانب الزراعي في الأرض والذي هو الجانب المهم في البلد، ولدى المزارعين القدامى الخبرة العالية والتي وصل إليها الغرب الآن .

وأغلبية سكان يافع يعتمدون على المهجر وغربة البلدان التي يذهبون إليها في العالم: أوروبا وأفريقيا وآسيا والشرق الأوسط والجزيرة العربية، ومعظم بلدان العالم يتواجد أبناء يافع فيها وأبناء اليمن عامة، ويعملون بكل جد ونشاط ليعودوا إلى بلدهم ويعمروا الدِّيور والحصون، وليكسبوا لقمة العيش بعز وشرف، وليبنوا مناطقهم، ويشقُّوا الطرقات ويبنوا لأطفالهم المدارس.

لقد قاموا بعد قيام الثورة وتحقيق حرية الوطن من الإنجليز بشق الطرقات للسيارات إلى أغلبية المدن والقرى والشِّعاب، وشيدوا المدارس والمراكز والقيادات، وساهموا بإقامة التعاونيات، وبدأ الكثير يظهرون على مسرح التجارة في البلد، وعملوا كل شيء في بلدهم وعمّروا بأيديهم وسواعدهم القوية.

ويمتاز أبناء يافع بشكل عام بالشجاعة والذكاء والمروءة، ولا يتحملون الشتم ولا الهيانة ولا التدني، ولذلك تجدهم سريعي

الغضب، ولو أن البعض بعد تزايد الاغتراب والهجرة اكتسبوا بعض عادات خارجية لا تمت إلى عاداتنا وتراثنا بصلة، وليست مرغوبة، نرجو منهم أن يعودوا إلى التمسك بأخلاقيات الدين والعادات العربية التي كان يتحلى بها الأولون والحاضرون الآن، لأن أجدادنا تمسّكوا بعقيدة الإسلام، وكان أبناء يافع شديدي التمسك بالدين والمحافظة على الصلاة والآداب والحياء، ويعتبرون كل تارك للصلاة أو مقصِّر بالدين منحرفاً بعيداً عن الأمانة وخالي من العروبة والفضيلة، لا يُؤْمَن على مال أو يؤمن على عار، ويعتبرونه شاذّاً في المجتمع الموجود فيه.

والإنسان في بلاد يافع يمتاز بالشجاعة والإقدام، كان الإنسان في بلاد يافع أكثر ما يعتمد على نفسه وقوته العضلية خاصة في طلب لقمة العيش لأسرته ونفسه في أي ناحية من نواحي الحياة، دونما يعرض نفسه للمهانة والإذلال، يفتخر بأصالته وعروبته، ويشتهر الإنسان في بلاد يافع باعتزازه بلبس السلاح (البندقية) بكل أنواعها قديماً وحديثاً، فبالزمن القديم كانت أسلحة أبناء يافع البندقية التي كانت تسمى بالعربية، وكانوا يصبُّون لها الرصاص بأنفسهم، وعبوءة الباروت الذي كانوا يصنعونه بأنفسهم، الباروت يصنع من فحم شجرة العِشَر والملح الذي يخرج من الدَّمان (السماد) والأمطار مع قليل من الكبريت الأبيض سابقاً.

كما كان أبناء يافع يحبون امتلاك أي سلاح جديد، فبعد البنادق العربية جاءت بنادق الريفل، القصير والطويل من صنع فرنسي، ثم بنادق تسمى الهرت، ثم بنادق الصُّوبة، ثم بنادق القفشي صنع انجليزي ثم الخشبية والكنيد صنع انجليزي ثم الألمان: الجرمل وزاكي كرام والبشلي، ثم بنادق البلجيك والبلخي صنع بلجيكا، ثم البنادق

المريكاني اتماتيك إم ون (m1) ثم الرشاشات ثم أخذوا بعد الستينات بامتلاك البنادق الآلية الروسية والشيكية والمسدسات بكل أنواعها، بهذه الصفات كان الإنسان في يافع، الإنسان الذي يحافظ على كرامته وأسرته، يصارع كل متاعب الحياة دون خوف أو وجل في أرضه الحبيبة.

مدن يافع

أهم المدن في يافع بشكل عام العواصم للمكاتب بيافع: القارة وبني بكر والهَجَر بلبعوس، والشِّبر للحضارم، وذي صِرا عاصمة الضُّبي، والمحجبه عاصمة السلطنة، والقُدْمة عاصمة الموسطة، والجُربة عاصمة مكتب المفلحي، والعِرْقة وحمحمة في الناخبي، وفَلَسَان في السعدي، ويهر في اليهري[1]، والقرن والحد تابع ليافع كله، والمسلمي تابع للمفلحي وحدودة مع الشعيب وأهل سعيد والريوي والعكيمي والأنعمي ومشيخة المفلحي في خله وشكع ومرات وعرشى والصرفة وأرحب والتابعة لها تابعة كلها لمكتب المفلحي يافع العليا.

(١) ذكر المؤلف عواصم للمكاتب ليست صحيحة فغيرت بدلاً منها كلمة "في"، وانظر في هذه المدن وغيرها الموسوعة اليافعية للشيخ نادر العمري.

فصل المجتمع لأبناء يافع

المجتمع الكبير لقبائل يافع هو المجتمع المتكاتف الذي كان يجمعهم أمام أي اعتداء على مناطق يافع، فكل الأفراد في يافع يكوِّنون كتلة واحدة ضد أي معتدٍ على البلاد، ومهما كان ما بينهم فإنهم أمام العدو الخارجي كتلة واحدة وعندهم المثل القائل: "أنا عدو ابن عمي وأنا عدو من تعداه"[(١)] ولقبائل يافع سابقاً ميزة خاصة كانوا إذا أرادوا أي شيء أو شعروا بخطر على بلادهم تراسلوا فيما بينهم وحدّدوا الزمان والمكان الذي يجتمعون فيه لتبادل الآراء أمام ذلك، وحدّدوا الأساليب التي يتخذونها فيما بعد أمام ذلك الخطر وخرجوا برأي موحد، وجعلوا بينهم وثيقة اتفاق على ذلك الاجتماع، وكل وفد يمثل المكاتب من مكاتب يافع يوقع بالنيابة عن قبائل ذلك المكتب الذي أرسل وفده ليمثله بالاجتماع، وكل أفراد المكتب يلتزمون بتلك الاتفاقية وصدور التبيان ومحلات الاجتماعات لكافة أبناء يافع محددة المكان.

---

(١) وهي بمعنى العبارة الشهيرة: " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وهي عبارة قيلت في الجاهلية بمفهومها الجاهلي، ثم أقرها رسول الله ﷺ لكن بمفهوم إسلامي، فإن الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: يا رسول الله، ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: تمنعه من الظلم، - وفي رواية قال: تأخذ فوق يديه، - وفي رواية: قال: تكفه عن الظلم، فذاك نصرك إياه. أخرجه أحمد (٣١١٠) والبخاري" (٢٤٤٤) والترمذي (٢٢٥٥).

مجتمع المكتب

المكتب يعتبر جزء مهم من مكونات يافع، ويضم عدة أقسام وقبائل، وأفراد المجتمع للمكتب الواحد يحدد اجتماعهم بشكل جماعي، يكون في نفس المدينة التي يسكنها شيخ المكتب، فإن شيخ المكتب كان يعتبر هو الممثل الأول للمكتب، وكل جزء أو قسم له شيخ يمثل أو يضم ذلك القسم من المكتب، إما الربع أو الثلث أو الخمس، وكل قسم يضم عدة قبائل وكل قبيلة يرأسها عاقل، وكما أن للمكتب محل لاجتماع جميع قبائل المكتب وكل أقسام المكتب فإنه في كل قسم يحدد محل لاجتماع ذلك القسم، كما يحدد محل آخر يكون بين قسمين من أقسام المكتب ويحدد محل أيضاً معروف لاجتماع القبائل داخل كل قسم إذا ما طرأ عليهم أي طارئ أو تكون أي نائبه عليهم.

مجتمع القبيلة أو العصبة

فمجتمع القبيلة أو العصبة التي تتكون من أسر كثيرة أو تكون تلك القبيلة منتمية إلى أصل واحد وجد واحد ولها عادات تمتاز بها، فعادة كل أسرة أن يكون الرجل الأكبر سناً بالعصبة له التقدير والاحترام ويتم عنده الاجتماع من جميع القبيلة أو العصبة، مثلاً يجتمعون ليلة كل عيد ونهاية شهر رمضان مساءً بعد صلاة العشاء جميع الرجال في العصبة من كل أسرة، كل واحد في العصبة يحمل معه كان سابقاً جَبَنه أو دَلَّة[1] بهما القهوة إلى عند كبير العصبة، ويجتمعون عنده لعدة ساعات يتبادلون الرأي والمشورة، ويحثُّون أولادهم وكل الأفراد على التحلي بالأخلاق والآداب وحسن المعاملة والتكاتف فيما بينهم، وكبير السن فيهم يقدم لهم النصائح ويوضح لهم العادات وأساليب التراحم.

وفي صباح كل يوم بعد صلاة الصبح أولاً يتعاود الجميع من أبناء القبيلة أو القرية كاملاً يتعاودون ويتبادلون التهاني والصِّفَاح في الجامع الكبير بعد أداء صلاة الصبح، وبعد خروجهم كل عصبة أو بيت يتجهون إلى منزل كبير العصبة للتهاني والصفاح بالعيد ويسمونه العواد ويعاودون كل الأسرة بالعصبة ابتدءًا من دار كبير العصبة أو البيت إلى آخر أسرة في العصبة، ويدور الشباب والأطفال والبنات التي أعمارهن من تحت الاثني عشر سنة عند أقاربهم من العصبة؛ حيث تتجمع النساء

(١) الجَبَنة والدَّلّة: إناءان.

والأطفال في منزل واحد استعداداً للعواد مع القادمين إليهم وهم كذلك يذهبون إلى عند الآخرين للعواد.

والمصطلح الذي يتداولونه بالكلمات عند صفاح العواد بينهم بكلمة عيد مبارك وكل عام وأنتم بخير أو كلمة من العايدين إن شاء الله[١] وكل أسرة تطرح قرب باب المسكن أو الغرفة التي يتم فيها العواد للعيد يضع سفرة (صحن) وفيه إما تمر وإما حلوى أو نعنع مليم أو بعض الطعام لأجل من أجا[٢] يعاود عند خروجه يجر من الصحن قليلاً، وهكذا كانت العادة لدى الأولين في قبائل يافع تتم بين أفراد الأسر قبائل ومكاتب وعَصَيْب.

(١) العبارة المشهورة: من العايدين والسالمين، وعادك الله كل عيد.
(٢) أصلها: جاء، فقدمت الهمزة وهو ما يعرف في علم الصرف بالقلب المكاني.

العادة في العصبة

عادة القبيلة أو العصبة أن يكون ابن العم هو الشفيع لابن عمه إذا أراد أن يبيع قطعة من الأرض أو السكن، أيضاً من عادتهم أن ابن العم له الأقدمية في خطبة ابنة العم والمثل عندهم كما يقولون: "بنت العم نزله من على الجمل لابن عمها" كما يكون في عادتهم التيسير في تكاليف الزواج والدَّفع[١] والتسامح متبادل بينهم، وأن أول شيء يطرأ على أحدهم لأي حاجة ألـمّت به أن يطرح ذلك على عيال عمه وأبناء عصبته، وإذا أراد البيع يعرض على أفراد أسرته من عيال عمه الأقرب فالأقرب فأول ما يعرض عليهم ذلك، وإذا لم تكن القدرة لذلك فمن حقه أن يتصرف ويبيع لغيرهم، ومن العادات الحميدة لديهم في القبيلة أو العصبة وبين أهل البيوت أن يتشاوروا فيما بينهم وأخذ المشورة في كل شيء حتى تكون السراء للجميع والضراء على الجميع.

كما أن من العادة في أي مجتمع صغير أو كبير للمكتب أو القبيلة أو العصبة أن يختاروا من كل عصبة فرداً يمثلهم، وهو صاحب الرأي، ويكون هو الممثل لتلك العصبة أو القبيلة لأي نائبة أو اجتماع تشاوري بين القبائل أو المكاتب، ومن العادة في القبيلة أنها تضع من كل عصبة نفراً يكوِّنون شبه مجلس نيابي للمنطقة أو المكتب أو القبيلة، ويكون هؤلاء هم المختارين لحل القضايا وتدارس الأمور والموافقة على

(١) الدّفع: المَهْر.

الاتفاقيات بين القبائل أو بين المكاتب، ولهؤلاء الممثلين حق الاحترام والطاعة والسمع لأقوالهم لأن الممثل يعمل بجد وإخلاص لما يصلح، ويكون في صالح من يمثلهم من أبناء قبيلته أو مكتبه أو عصبته ولا يسمح له ضميره أن يخونهم أبداً، ويمثلهم بدون أي مقابل اللهم اجتهاده والعمل على حفظ كرامة أبناء جنسه وأبناء عمومته ليكونوا في مجتمع مترابط قوي البنيان .

عادة الزواج في كل قبيلة

في الزواج من عادات الأولين في يافع عندما يريد الشاب أن يطلب يد بنت أي فرد أولاً لابد أن يكون والي الأمر هو صاحب الرأي الأول والأخير في الأسرة لدى الشاب أو الشابة، وأن ولي الأمر هو الذي يبدأ بجس النبض لدى أم البنت وأبيها ومن يقرب لها، فإذا رأى أنه لم يتمكن من جس النبض بنفسه كلّف بذلك أحد الأفراد ذكراً كان أو أنثى، أولاً سراً عند البنت وعند الأب والأم فإذا كان الأمر يدل على الرغبة والقبول والموافقة كلّف مرة ثانية أحد أفراد القبيلة الموثوق بهم ليروح إلى تلك الأسرة ويقول لهم: إن فلان بن فلان يطلب يد ابنتكم فلانة لابنه فلان فهل لديكم الرغبة؟، فيقول ولي أمر البنت: سأعرض الرأي هذا على البنت والأم والأسرة، فإذا وجدت لهم الرغبة والشّفّ[1] سأنبيء عليك بالرغبة وإذا لم أجد الرغبة من الجميع فلابد من الجواب، فيعرض رب الأسرة ذلك الطلب من ابن فلان وأبيه للبنت فيكون القبول لأن الأمر قد تأكد منه سراً من قبل أن يرسل الرجل على ذلك، فيرد ولي الأمر على الرجل المكلف بالقبول والرغبة والسؤال للبنت من الأب والأم فيسألونها برغبتها، فإذا تكلمت فنعم أو إذا سكتت فالمثل يقول: السكتة رضا، لأن النبض قد جُس سابقاً عندها وتتم الموافقة بينهم بعد أن يروح الخطيب وولي أمره والواسطة بينهم

(١) الشّفّ: الرغبة.

المسمى بالذريع إلى دار ولي أمر البنت ويسمى ذلك اليوم: السّداد أو يوم الوفقة، أول ظهر أيضاً للعروس إلى دار العروسة ويدفع الخطيب وولي أمره قليل نقود يسمى الطَّرح على العروسة، وإذا وجد خاتم ذهبي أو فضة فلا بأس، أما سابقاً فالكلمة أقوى من أي مبالغ إذا التزم بكلمة فلا يرجع عنها لا هذا ولا ذاك أبداً مهما كلف، ومن العيب الرجوع عن ذلك ويعتبر عار من خلّف التزامه بعد الوفقة وعليها أحكام باهضة ودفع مبالغ باهضة أيضاً من الذي يخلف التزامه بالاتفاقية بذلك.

المرحلة الثانية من عادة الزواج

يروح الخطيب وولي أمره ومعهم الذريع (الواسطة) وأحد الأقرباء: نفر أو نفرين إلى عند الخطيبة أي: بيت أولياء أمرها بهدايا وقليل لحم وثوب لأم العروسة وثوب للعروسة وبعض هدايا بسيطة وتسمى الظهرة التامة وكتابة الاتفاقية بين الطرفين، ويجلس الخطيب ومن معه في ضيافة أبي العروسة يوم أو ليلة للتجابر[1] وعمل الاتفاقية مع مجموعة كبيرة من أبناء القرية أو القبيلة ومحدد العمر للخطيبين ويوقع الطرفان على الاتفاقية - وهذه التوقيعات من الخطيب والخطيبة استحدثت في العشرين العام الأخيرة من بعد عام سبعين وتسع مئة وألف ميلادي - ومن قبل الالتزام والشهود بدل كل حاجة، وكانت تقع اتفاقيات بورق سابقاً ويتم من بعد هذه الاتفاقية بين ولي أمر الخطيب والخطيبة تحديد الدّفْع (المهر) وخسارة الليلة والتكاليف للزواج.

وكانت سابقاً من قبل خمسة وعشرين سنة من هذا التاريخ كانت تسود بين القبائل والأسر روح التراحم والمحبة والشفقة، وكانت التكاليف بسيطة جداً جداً، المهر كان عند الأولين لا يتجاوز عدد الأصابع، وكان الغني يرحم الفقير والقوي يساعد الضعيف، وأهم اشتراط الناس بذلك الاحترام وعز الأنثى والمحافظة على الشرف والكرامة، لم يكن لديهم السرف والتبذير في ولائم الزواج كما هو

(١) المجابرة: تبادل أطراف الحديث.

موجود الآن، ولا كان لديهم المظاهر في التكاليف الناشئة عن الفخر والتكبر والإسراف، لم يكن لديهم النظرة إلى زيادة المبالغ وتكليف الشباب ما لا يطيقون، إنما كان لديهم حب الروابط وبناء الأسر السليمة.

المرحلة الثالثة لعادة الزواج

بعد الظهرة التي يتفق فيها العروس وولي أمره مع ولي أمر العروسة على الموعد المحدد لوقت قيام الزواج (الزفاف) للعروسين تعتبر الظهرة في عادة أبناء يافع هي المقياس بين الأصهار، فما حمله ولي العروس والعروس وأي شيء يشلّه إلى بيت العروسة من هدايا بالظهرة من أشياء تعتبر مقياس لما يحمله أبو العروسة بعد الزواج بالشبعة إلى بيت العروس يقاس بالثِّنى[١] بما جاء به العروس، مثلاً إن ساروا بالظهرة إلى بيت العروسة نفر تبعوا نفرين وإن ساروا نفرين تبعوا أربعة، وكذا تقاس الأشياء الأخرى مثل الغنم إن شلّ راس غنم قود[٢] تبع براس بقر قود، وإن شلّ لحم مذبوح تبع بلحم مذبوح، وقس الأشياء الأخرى على هذا في الظّهْرة.

وهكذا كان أبناء يافع في كل قبيلة وكل قرية كل واحد يراعي الآخر ويخفف عليه من تكاليف الزواج ولا يثقّل عليه بالمهر والطلبات ولا أحد يطمع بالمال لأنهم كانوا يعتبرون البنت لا تقاس بمال لأنها ليست كسبة (قطعة أو حيوان) يثمن بقدر من وسخ الدنيا الزائل، وكل عروس يتوخى في خطبته بأي بنت يتحرى فيها أن تكون فيها الصفات الجميلة والمرغوبة وهي الصفات التالية: الأدب والدين والحسب

(١) أي: مضاعف.
(٢) أي: يقاد حيّاً.

والنسب والجمال وألّا تكون بذيئة أو فيها أي نقص أو أي خصلة تنقص من قيمتها هذا ما يرغب فيه الكثير.

وتكاليف ليلة الزواج والزواج بشكل عام كانت سابقاً عند أبناء يافع أسهل شيء لأن هذا التسامح من صفات العرب وشيمة الكرام، وكان أكثر ما يشتهر التسامح في الزواج بين الأسر المتقاربة أو القرى المتعاونة، وأذكر مثلاً بالذي أنا عايش فيه مدينة الجُربة في بلاد المفلحي والتي كانت المثل الرائع للتسهيل والتسامح فيما بينهم والشفقة على العروس، والشرط عندهم كان سهلاً وقليلاً حتى أن منهم من زوّج ابنته بأحد المواعين أو بأيام عمل قليلة، وهذا ما خلّاهم[1] يكونون رمزاً للشهامة، فإن الرسول ﷺ أمر بتزويج البعض بخاتم من حديد والبعض أمر بزواجها بتعليم بعض السور القصيرة.

وأقول أن سكان مدينة الجربة سابقاً كانوا كرماء وأصيلين لا جشعين بطلب المال، ولكن للأسف الشديد في الوقت الحاضر زاد الجشع في بلاد يافع كلها وأخذ عادات البلدان الأخرى بزيادة المهور وتكاليف الزواج وهذه عادة تسبِّب الضرر وتبذر العداء الذي تكون نتيجته عداء الزوج والزوجة وتكون النهاية الفراق، هكذا أخي القارئ فإن العربي الأصيل من كان مثلاً للآخرين بالفضائل والخير.

ومن الأمور الحميدة في يافع وخاصة بعض المناطق يمتازون بالشهامة، وأجمل تقدير منهم لأي ضيف يأتيهم في أي وقت أو في أي زمن يكرمونه ويحيّونه، وأما أيام الزواج فالأولوية للضيف في الجلوس

---

(١) أي: جعلهم.

في البقع الجميلة وإحضار كل ما يريده، ويقوم أبناء يافع بتقديم العطور ورشها على ثياب الضيف وعلى رأسه وتقديم الروائح من البخور للضيوف، ويتفق العروس وأبو العروس على القدر الذي يذهب به العروس بالناس الذين يرافقونه لإحضار العروسة وتحديد لحظة الزمن الذي تنتقل فيه العروسة إلى بيت العروس.

والعادة عند الأولين يشرط خسارة الليلة فإذا كان العروس لا يروح معه أحد سوى نفرين أو ثلاثة فتكاليف الليلة رأس غنم وعشر روابع حب ذرة وعشرة صياني سمن وعشرة عسل، وتعتبر ضيافة أقارب العروسة، وأن زيّد العروس إلى العشره زاد قليل حب وسمن وعسل، والرأس الغنم لواحد إلى عشرة نفر، وإن أراد الزيادة من فوق العشرة فعلى كل نفر رابعة حب وصيني سمن أو عسل سابقاً، وللعشرة النفر رأس غنم وراس غنم لبيت ولي الأمر للعروسة، هذه عادة عندهم حسب قدرة العروس.

المرحلة الرابعة بالزواج

بعد تحديد الزواج تبدأ مظاهر الزواج، والعروسة قد تحجبت من يوم الظهرة سابقاً ثم يحدد الزواج، أولاً يشعر العروس أو من ينوب عنه يشعر أقاربه وكل أصهاره وأبناء عمومته والجيران ليحضرو الليلة لأنها عندهم ليلة الغسل، ويحضر إلى بيت العروس والعروسة أهل بيتهما والجيران والأصهار والأقارب، وكل واحد يحمل معه دلَّة قهوة أو شاهي أو ثلاجة، وسابقاً كانت الجِبان للقهوة، وكذا ولي أمر العروسة يشعر الأهل والأصهار والأقارب والجيران وأبناء عمه لحضور ليلة الغسل، ومعنى ليلة الغسل أنهم كانوا سابقاً يغسلون رأس العروسة والعروس بالعِلْب سابقاً، أما الآن بأحدث الأنواع، ثم في تلك الليلة يسمرون، ويقول ولي أمر العروس وكذا ولي أمر العروسة وهو يتحدث مع الحاضرين من أبناء عمه وجيرانه وأصهاره وأصحابه، يقول: بُكْره ليلة الحناء، وبعد غدٍ نهار الزواج، معنا ونحن أهل والضيف لنا جميعاً وتعتبرون من أهل البيت الشرف لنا مرة والعيفة[1] للجميع، فكل واحد يحافظ من جهته وكل واحد يلتزم بالأدب والاحترام، وعليكم الجميع قبل كل شيء احترام الضيف مهما كان وتقديم كل حاجة وتقديره والمحافظة من الإساءة لأي فرد مهما حدث من الضيوف لا أحد يأخذهم على أي هفوة أبداً، حافظوا، وتنتقل كل التكاليف لخسارة

(١) العيفة: الأمر القبيح.

الزواج قبل يوم وليلة الغسل إلى بيت العروسة من العروس، والليلة الثانية تسمى ليلة الحِناء يروح العروس ويتحنّى بتلك الليلة أمام أصدقائه من الشباب، وتطول السمرة لدى الجميع، وتزان الديور بالزينة، وتظهر الملابس الجديدة لدى أسر الجانبين، وتُسمع الزقاريد المسماة ببلاد يافع بالمحاجر فوق رأس العروس والعروسة من النساء، كلما دخلت امرأة أو عبر[١] العروس أو العروسة، والشاهي والقهوة تدار على الجميع بسخاء والأطفال يعمهم الفرح والابتهاج بليالي الزواج.

وفي صباح اليوم الثالث (يوم الزفاف) يبدأ من الساعة السابعة أول ما يحضر حامل الطبل أبو وجهين يدق فيه من بداية دخوله القرية، وعند وصوله باب الدار كان يجلس سابقاً يدق فيه أي في الطبل وجنبه صاحب المزمار (الشبابة)، ويمكثون بباب الدار بضع دقائق ينشد حامل الطبل بكلام يمدح فيه الأسرة وولي أمر العروس أو العروسة، لأنه كذلك حامل الطبل وحامل المزمار، اثنان يتجهان إلى دار العروس، واثنان يتجهان إلى دار العروسة صبيحة يوم الزواج أي يوم الزفاف للعروسة، ويخطب حامل الطبل بالمدح حقه.

وبعد هذا يرحب صاحب المحل ويدخل حامل الطبل والمزمار، بعد ذلك يتم العمل بالفرح والاستعداد من الصباح لتهيئة الأمور للغداء لكل الضيوف والشّواعة[٢] لدى بيت العروس وكذلك بيت العروسه، والغداء قد تم الاستعداد له من قبل أيام بطِبّان الحب الذرة الأبيض عند النساء في البيوت الأخرى عند الأسر، أي لدى النساء المعروفات

(١) أي: مرّ.
(٢) جمع شويع، وهم المرافقون للعريس إلى دار العروسة.

بنِجَّاح[1] العصايد للعرس والذي لديهن الاستعداد والقدرة، والعصيدة الواحدة تقدر أحياناً بعصيد رابعتين أو عصيد ثلاث روابع أو عصيد كيلة أي أربعة كؤوس، الرابعة كأس ونصف، والكاس يقدر باثني عشر صيني أبو شهر، بمقدار صفحة واحدة، أي ملء كفي إنسان كبير، وتحضر بالزواج على قدر الطَّلَب وكثرة الناس، فأحياناً ثلاث أربع عصايد وأحياناً أزيد قد تصل إلى قرب العشر العصايد، وتؤكل العصايد بالأغلبية وعليها عسل وسمن بلدي وأحياناً لحم، وأغلب الحالات يفرَّق اللحم الناجح بعد أكل العصيد في بيت العروس والعروسة.

وعلى ما يتفقون أهل العروس والعروسة على وقت المروح ونقل العروسه إلى بيت العريس ويستمر ذلك اليوم أي يوم الزفاف بضرب الطبل أيضاً يرافقه صوت المزمار ليلعب الرجال على حده في منزل، والنساء في منزل وحدهن، الرقص رجلين يرقصون، والنساء كل ثنتين يرقصين على جنب في محل النساء، هذا إذا كان في الليل حتى الصباح، وإذا كان في النهار إلى قرب العصر، وفي أثناء اليوم يخرجوا الحنّا في بيت العروس وبيت العروسة من فوق الدار من جنب الدار، ويتطلع العريس ويجلس في وسط دائرة (حلقة) من النساء مع العروسة، والنساء يزقردين بالمحاجر، ويتم إطلاق الطماش وضرب الرصاص إلى أهداف معينة للرجال، والنساء يغنين ويقولين بمثل هذه الأنغام والكلمات فوق الدار:

ألآ واصلاة الله على النور على النبي بدر البدور على صوت
ألا واصلاة الله على النور يصلح الله الأمور

(١) أي: طباخته.

الــزواجــه شــرع لِــسْــلام ندعي الله بالتمام للعروس
أخـدمـك والـتـخـدمـه لـك والهراء والصيت[١] لك
واذهــب صــافــي بــدكــان قنت[٢] ناموس المكان

تبدعنا بربي ذي علينا معتلى

تبدعنا بربي والصحابة والنبي[٣]

وانبسمل وانحالق وانصلي على النبي[٤]

طلع حنّا جبا الدار واطلوع العافية

قد طلع باربع مزاهر والطبول الرعدية

بني عمك ثلاثين نابلين الرومية

احتموا له وابني العم

واثلتّعشر ميه

احتموا له وابني العم واالشباب القوميه

أما هذه الكلمات فهي تقال قبل عقد القران:

ألآ بــنــتــنــا بــنــت راحــه بنت العسل من جباحه للبنت

(١) الهراء: المدح والثناء، ومُدّ بسبب اللحن، والصيت: السمعة الحسنة، يقولون: فلان أو فلانة مصات، أي: كل الناس يتحدّثون عنه أو عنها بشيء يمدح عليه.
(٢) قنت: قد أنت أُدغمت الدال.
(٣) تبدّعنا: أي ابتدأنا، وإشراك النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام مع الله من الألفاظ الشركية.
(٤) نحالق: لعل أصلها نحوقل، أي نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ألا وهداني واخدمتى والثنين ... للحمحمه واحمر العين
با أخدم قديّه وواجب ... لش وانميم الحواجب
عرس خفا والله الدار ... ألا بطاسه ومزمار
عباد واعلب ناعس ... علبى خشب ما به اتلاس

الترحيب بشواعة العروس ببيت العروسة من النساء

باسم الله أول كلامي

وما نطق من لساني

لساني الاسم فيها

تنطق بحس الشهادة

ألا وهداني من هو كبير الشواعه هدان

وتقادروا واشواعه هدان[١]

الصوت الثاني

هاتوا بخور الغواني هدان

ادّي بخوره بجاده هدان[٢]

بخور من عطر لمراش هدان

صوت آخر

جيت ابسمل وحالقي

ألا جيت ابسمل وحالقي

---

(١) تقادروا: أي يقدِّر بعضُكم بعضاً.

(٢) ادّي: جَلَبَ، و وجاده: جوده تنطق بين الواو والألف.

ونصلي على النبي وارحبوا واضيوفنا

وارحبوا لا قلوبنا[١]

لا مفارش ديورنا قال عبد وين ترحبون

فوق راسي وارش[٢] عطور

واحريو آد لا هنا[٣]

وانرويك بنتنا[٤]

واحريوه تحرولي

وعلى الله توكلي

جي لش اليوم مشتري

بندقاني وعسكري

من بلدنا تقنعي

لا بلدهم تولعي

ومن مدح العروسة

بنتنا واكما كما

واكما المزن بالسما

---

(١) لا قلوبنا: أي إلى قلوبنا.
(٢) أي: سوف أرش.
(٣) آد لا هنا: تَعَال إلى هنا.
(٤) وا نرويك: أي نُريك.

بنتنا تربة العليف

بنتنا عوبلي سريف

بنتنا واسفرجله

واخميره مجلجله

وداع العروسة قبل الخروج يغنين به النساء وهن حَلَقَة:

ألا يابه كثر خيرك ألا ما عادني بنتك
ألا بالأمس أني بنتك ألا واليوم بنت الناس
ألا يابه كثر خيرك ألا انته واخواني
ألا وأمّي وهذا الدار

ألا يا ليتني يابه حُبيْبه اسط مخزانك[١]
ألا يا ليتني يابه حُجَيْره اسط ركن الدار[٢]
ألا يا ليتني يابه ذبيلة في طرف ثوبك
ألا يابه كثر خيرك جباك اليوم مفتاحك[٣]
ألا يا ليتني يابه غريبه اسط واديكم[٤]
ومن أجل اني أجيكم سمعت اليوم لاقيكم

(١) يابه: يا أبتي، وحُبيبة: حبّة، واحدة الحبّ، و اسْط مخزانك: وسطه، والمخزان مكان خزن الحبوب.
(٢) حجيرة: حجرة.
(٣) جباك مفتاحك: خذه، وفي بعض المناطق تقول النساء: هليك اليوم مفتاحك، والمعنى واحد.
(٤) الغريبة: نوع من سنابل الذرة.

ألا واكـــون أشـــاوفـــكـــم بـسـرحـتـكـم ومـروحـكـم
ألا بـــابـــكـــي الـــمِـــرْدِم ذي كـنـشـي تَـخـطِّـيـنـه[١]
ألا وابـكـي الـمِـشْـقَـار ذي كـنـشـي تـسـقِّـيـنـه[٢]
تـخـطّى في صـروح أهـلـش وبـكـره فـي صـروح الـنـاس

(١) المردم: حَجَر توضع في الباب يتخطاها الداخل والخارج، وتخطينه: تتخطينه، أي: تمرين عليه.وكنشي: كنتي، وهذه اللغة تسمى الشنشنة، وهي إبدال تاء التأنيث بالشين، وكانت لهجة لبعض القبائل العربية الفصيحة.

(٢) المِشقار: إناء في فناء الدار يملأ بالتراب ثم يغرس فيه الشُّقُر، وهو الريحان. تقال هذه الكلمات وما يشبهها في ألحان مؤثرة تذرف منه غالباً عيون الوالدين والأحباب.

المرحلة الخامسة بالزفاف

خروج العروسة من دار أبيها إلى دار العريس تستعد للذهاب وقد جُهِّزت بالثياب الجميلة والحلي الفاخرة، وجُهِّزت ثنتان من النساء مسايرات لها في الطريق، والنساء يرددين الزقاريد من حواليها حتى يودعينها إلى مسافة بسيطة تزيد على عشرات الخطى، وشواعة العروس أمامها يمشون ويهجلون بالزامل المعروف صوته لدى أهل البلد بكلمات شعرية مثل هذه الأبيات:

وأكرمكم الله يا أصيلين النسب
يا ذي على الجوده تربيتوا دوام[1]
مقداركم زايد لنا فوق الرحب
طبتم على المقدار يا نسل الكرام

وتستمر قافلة الزفاف بالسير إلى دار العريس والزقاريد تتواصل، وخلف العروسة يمشي العريس وواحد من أقارب العروسة حتى يصلوا إلى قرب محل العريس وتستقبل النساء من بيت العريس بالمحاجر (الزقاريد) وبيد كل واحدة مبخرة فيه يطلع دخان البخور ترحيب بالشواعه والعريس والعروسة والمرافقات للعروسة، والشواعة حق العروس عند دخولهم محل أبو العروس يهجلون بمثل هذه الكلمات:

---

(١) الجودة: الشجاعة والكرم، يقال فلان جِيْد أي شجاع كريم، وضدّه: فَسْل.

سلام يصرف لا محل اهل الشرف
مليون يتكلف بماوردي وطيب
الرب ولّف والنَّسب رغبه وشف
والجيد من شرَّف وتالي ما يخيب[١]

وتتقدم النساء المرحِّبات لتلقي العروسة والمرافقات ويمشين حواليها وهن يزقردين بالمحاجر حتى تصل العروسة إلى جنب الدار، وعند باب الدار يكون أهالي العريس قد ذبحوا رأس بقر أو رأس غنم قدام العروس والعروسة، ويُقرَّب للعروسة من أم الأسرة في بيت العريس قليل من الحب بصحن وقليل من العسل وتمد العروسة وتغمس أصابعها في العسل وتلطم بمردم السدة حق الدار الأعلى وتسفر[٢] قليلاً من الحب يسرة ويمنة، ثم يقرّب لها قليل ماء لغسل رجليها باب الدار، وتبدأ بالدخول بالرجل اليمنى تبركاً بأمر الرسول ﷺ ثم يبدأ النساء بأغاني الترحيب بالعروسة بالمنزل الرئيسي وفي بعض المناطق ترحب النساء بكلمات شعرية أمام العروسة من قبل دخولها الدار من مسافة مئة خطوة أو أزيد، نصفين يسار ويمين، والعروسة تمشي بعد الصفوف، والنساء يمدحين العروس وأهلها ويرحبين بالعروسة وأهلها، وتتم الضيافة للشواعة وكل الأقارب والجيران والقرية ذلك اليوم.

وفي اليوم الثاني من وصول العروسة إلى دار العريس يتبع أهالي

---

(١) الرب ولّف: أي ألّف بين القلوب، والشفّ: الرغبة.

(٢) تسفر الحب تلقيه في الجوانب، وهذه العادات - هذه العادة واللاتي قبلها وبعدها - تخلصنا منها والحمد لله، وهي مما يرتبط بالعقائد الباطلة الخرافية التي كانت سائدة في ذلك الزمان.

العروسة بنتهم حاملين ثياب العروسة والشنيط حقها وهداياهم لبيت العروس من الحلوى والدقيق واللّحم وقليل أمصار[١] وثياب على قدر حالة الشخص ومقدرته بالحياة، ويمكثون عند بيت العروس يوماً أو يومين ثم يروحون وتتم مراسيم الزواج بمروحهم.

وبعد أيام قليلة يستعد العروس والعروسة للقيام بزيارة أم العروسة وأهلها إلى دارهم حاملين اللّتيت الذي يخلط؛ حيث يُلت الجلجل بالعسل بقدر كأسين أو ثلاثة من الجلجل، وعند وصولهم يُرحَّب بهم، وتُقسم هديتهم (اللّتيت) على الأهل والأقارب والجيران ويجلسون يوماً واحداً فقط ويعودون إلى بيت الزوج لقضاء شهر العسل بهناء وراحة.

وللإفادة فإن يوم الزواج في دار العريس والعروسة جميع أقاربهم وبني عمهم والجيران جميعاً والأصدقاء خاصة في الجربة بلاد المفلحي هذه العادة المحمودة فإن جميع النساء تروح إلى عند الزواج وكل واحدة تحمل معها ثلاجة قهوة أو شاهي وقَفْشة أو جُحْف[٢] مليان خبز بر أو قرص دخن أو ذرة، كما أن النساء ليلة الزفاف كل واحدة تحمل معها للعروسة ثوباً أو ثوبين أو مقارم[٣] ومضارب عطر وأشياء أخرى تخص النساء حتى تكون العروسة قد حصلت على أزيد من طلبها مرتين أو ثلاث.

وبعد الزواج ووصول العروسة بيومين يروح كل بيت أو عصبة ليلة واحدة لزيارة العروسة، يروح النساء وكل واحدة تحمل دلّة قهوة أو

---

(١) أمصار: جمع مَصَر وهو الخِمار.
(٢) القَفْشة والجُحْف: آنيتان.
(٣) جمع مقرمة، وهي الخمار أيضاً.

ثلاجة شاهي والعروسة بهذه الليالي تجلس أمام النساء فوق كرسي أو حاجه عالية على مقاعد النساء في ذلك المنزل لمدة أربعة أيام أو خمسة أيام وتنتهي.

أول حمل للمرأة وواجب أهلها

ومن العادات السائدة في يافع إن المرأة عندما تشلّ[١] بالحَبَل أول مرة بعد الزواج فإن الأب عليه رأس غنم يشلّه إلى عند عذله المزوجة، كما أن أب وأم البنت التي تتزوج عند ولادتها أول حبل يشلون رأس غنم، وفي يوم الختان يعملون لمولود بنتهم غداء، عصيد وسمن وعسل، وأيضاً أبو البنت أو الأم أو الأسرة بشكل عام، ومسؤول تلك الأسرة ذكراً أو أنثى هو متكفل بمعظم أكل البنت التي تنجب وتولد، يعملون لها الصباح والظهر والمساء أكل جميل يقوّم النفساء بعد الولادة ويعوِّض لها ما فقدت بالولادة من دم في نزيف الولادة أو أتعاب الولادة وتستعيد صحتها من الألم، ومسؤولية أبيها وأمها أو أسرتهم مسؤوليتهم بالأكل للحرمة لمدة أربعين يوماً، كل الأكل الجميل من بيت أبيها وأمها وأخوانها الجميع، كما أن أقارب زوج المرأة وأبناء عمه وأصهارهم وجيرانهم كل أسرة تعمل وجبه للنفساء وأسرتها، غداء أو عشاء أو صبوح حسب العوائد عندهم في كل منطقة، ويتم تسمية الطفل في تلك الأيام الأولى من الولادة ذكراً كان أو أنثى وفي خلال الأربعين اليوم تكون راحة الحرمة النفساء من الأتعاب فلا تحمّل أشغالاً شاقة إلا إذا كانت الوحيدة في بيت زوجها، فأغلب النساء في المناطق تستعد بنفسها على أغلب الأشغال الغير متعبة في بيت زوجها

(١) تشل بالحبل: أي تظهر عليها علامات الحمل.

مع مساعدة النساء القريبات لها من الأسرة أو العصبة أوالجيران، وكل الجيران وأبناء الجيران يتعاونون مع أسرة تلك المرأة، ويأتيهم الأكل من كل الأقارب، وربما لا تقوم المرأة النفاس بأي طبخ في بيتها بسبب ما يأتيها من الأكل من الأقارب وأبناء الحارة والقرية.

والتي تلد بولد أو بنت يعتبرون أحب الرضاع من الأم للولد وإن حَلَب الأم هو أفضل غذاء للطفل، وإذا عدم الحَلَب لدى الأم النفاس أو حدث لها مرض أو قدّر الله لها في الموت أثناء الولادة أو بعدها يتبنون إرضاع الطفل وتأخذه إحدى نساء القرية أو الجيران وتتبنى رضاعة الطفل والعناية به خلال طفولته بدون أي مقابل أو أجر، وإذا عدمت مرضعة من النساء أحظروا له شاة للرضاعة مدة طفولته حتى يستغني عن الرضاعة، ورضاعة العنز للأطفال الذين يفقدون أمهاتهم كانت سائدة ومعمولاً بها في يافع وخاصة أرياف يافع ومحلات الرعيان والبدو والأشعاب حيث السكن القليل.

تربية الأطفال

أما الاعتناء بالأطفال بعد الولادة فهذا شيء طبيعي وله اهتمام زائد لدى الناس، ويُعطى الأطفال في صغرهم الزبدة من البقر ويسمونها الدِّهنة، والسمن المغلي بالحلبة وخاصة للأطفال الصغار، كانوا يحبون أن يجرّعوهم السمن المغلي بدون حلبة ويسمونه السمن الرضيف، وتدريب الطفل تناول الطعام من بعد مرور ما يزيد على عشرة أشهر أو سنة يبدأون بإطعامهم لحسات طرف الأنامل النظيفة ليد الأم أو العمة أو الأخت للطفل، ويعوّدون الطفل الأكل باليد اليمنى، ويؤدّبونه على الأكل بالطريقة الإسلامية والعربية، الأكل باليمين ومما يليه وذكر الله أول الأكل بسم الله ونهاية الأكل الحمد لله، ويحذرونه من قلة الأدب عند الأكل أو بين الناس ويعلّمونه الاحترام للجد والجدة والأب والأم والأعمام والعمات والكبار واحترامهم وطاعتهم واستماع أوامرهم والتأدب لهم، ويؤدبون الطفل على قلة الكلام وعدم الثرثرة فيه أو مقاطعة الناس بالكلام ويحذرون الطفل من السب واللعن والشتم ويقولون له هذا حرام، ويعلمون الطفل الصدق بالحديث وعدم الكذب في كل ما يخبر أو يقول أو يفعل، ويحذِّرونه من مد يده لمال الغير أو السرقة ويقولون له هذا حرام وعيب، والذي يسرق يعرف بأنه سارق، والذي يكذب يعرف بأنه كاذب لا أحد يثق فيه ولا يأمنه ولا يعتبره، ويحذرونه من نكث العهود وخلف الوعود وتعتبر هذه الأمور أمور شنيعة عند الصغار والكبار على السواء في مناطق يافع سابقاً، وتجد

الطفل يخرج من سابق وهو متعوِّد على الوفاء والأمانة والصدق والصراحة والشهامة والكرم، وتجد اليافعي بكل مكان صريحاً ومعتزاً بنفسه لا يقبل الذل ولا الشتم، ولا يعرف السب ولا اللعن ولا بذاءة الكلام.

واليافعي قوي البنية صحيح الجسم بسبب الغذاء الذي يتناوله من زراعة بلاده المعطاءة من الذرة المتنوعة البيضاء والغرب المتنوعة والقمح المسمى بالبر السمراء والميسان والعلس والشعير وغير ذلك من محصولات البلد، ومن المزروعات في مناطق يافع أيضاً والتي تزرع بالأرض بصورة شاملة للحقل بل في بقع متباينة بين زرع الذرة المنوع وذلك الدُّجر الأحمر ويسمى في بعض البلدان بالفول غير أن الدجر في يافع نوعان، أحمر صغير ويسمى الدجر البلدي، والنوع الثاني حبته كبيرة قليل ويسمى الدجر المعافري، ويزرع الدجر بنوعيه في الأرض الحقيرة، ونوع ثالث يزرع بين الزراعة أيضاً وهو عدة أنواع ويسمى الكُشْد البلدي والكشد الأسود والكشد البيهني وحبته كبيرة، وتكثر زراعته بعد العلان ورفع المزارع وفي فصل الشتاء، ويكثر في السِّيَل والمناطق الحارة مثل وادي حطيب وشعاب المفلحي ويهر وغيره.

التربية والتعليم

كان التعليم بسيطاً بواسطة المدارس التي كانت تسمى المعاليم، وتلك المعاليم تكون لقرية كبيرة أو لقرى أو لمنطقة يبحثون عن رجل لديه الخبرة بتعليم القرآن وبعض الحساب البسيط، وكان يتم تعليم القراءة للقرآن، وتعليم الخط العربي، وتعليم القاعدة البغدادية لمعرفة أصول اللغة والشكل والتنوين وبعض الأفعال، وكان سكان يافع يدفعون بالسنة على تعليم الطالب عشرة كؤوس حب أو خمسة ريالات فضة مع إعطاء المدرس وقت الحصاد ما يسمونه الدُّبْآن من الحبوب، وأيضاً المصروف من الأكل والشرب كل يوم عند طالب يتولاه للمدرس، كما يعطون المعلم يوم العيد الصغير شيئاً من الحبوب، ويذهبون زيارة إلى دار المعلم، ومن جانبه المعلم يعمل للطلبة الغداء، وكذا بعيد الأضحى يشلّ كل طالب للمعلم قطعة لحم بمقدار عشرة أو سبعة أرطال، وبهذه الطريقة يتم التعليم سابقاً، وكان يستمر الطالب لمدة ثلاث سنين أو أربع سنين يتخرج من المعلامة متقناً الأداء للفروض والواجبات الدينية وشروط الصلاة والوضوء وغيرها، كما يتقن قراءة البغدادية والقرآن والخط.

ومن أهم المزايا لدى أبناء يافع أنهم كانوا بعد تعلمهم بالمعلامة وأثناء تعلمهم يوضِّح لهم الفقيه (المدرّس) الأمور المعيبة في الإنسان مثل السرقة، ويعتبرون السرقة والقيام بها من أشنع الخصال وأذمها إلى

يومنا هذا، وأيضاً الكذب إذا ما عرف إنسان بالكذب يحتقرونه ولا يؤتمن على شيء، كما يوضح المدرس للأطفال في المعلامة والآباء والأمهات يعلمون أولادهم الرجولة والعِفَّة وصدق الحديث وأداء الأمانة والصدق بالأيمان والوفاء بالعهد والوعد، ويكرهون الغش والخداع والحيلة هذه أمور يمقتونها بالعهود السابقة، وإنما فشت في الأزمنة الأخيرة جداً بعد أن هاجروا وتغرّبوا وجالسوا غيرهم في البلدان الغربية والعجمية وقلّد بعضهم ما سمع وشاف[1].

ولا يوجد في يافع سابقاً منكر الأخلاق بالزنا، وإذا حدث نادراً جداً اعتبروا ذلك الحدث شيئاً فظيعاً عوقب الفاعلان بالموت والتشهير أو الطرد قبل شيوع الجريمة.

وكان من ضمن تعلم الشباب في المعاليم وما بعدها وأهمها العمل حتى في سن مبكرة للأطفال، والرجولة وحب حمل السلاح الأبيض (الجنابي) والبنادق وتعلم الرماية حتى أصبح كل أبناء يافع يتقنون الرماية بالأسلحة المتنوعة، والغريزة لدى أبناء يافع حب الاعتناء بالسلاح الجديد والعنوة فيه وحب المحافظة على لبس الثياب المعتادة كتراث يعتزون به جميعاً، وحب تعلم البرع بالسلاح الأبيض، الجنابي والسيوف التي تكاد أن توجد لدى كل فرد من أبناء يافع سابقاً.

ويتقيد أبناء يافع بدين الإسلام، كما أنه كان سابقاً لا يخلو مكتب من مكاتب يافع جميعاً من المتعلمين بالدين أو علماء دين في طبقة من الطبقات، أو بمعنى أصح صفة للناس والذين يريدون طلب العلم

(١) شاف: رأى.

فيطلبونه من المنطقة إذا وجد فيه العلماء الأكفاء للتعليم بالدين، أو طلبوا العلم الإسلامي في منطقة جبلة في لواء إب، أو من مدينة زبيد، أو مدينة تريم بحضرموت، أو يسافرون لطلب العلم إلى الحجاز إلى مكة والمدينة المنورة.

كما أن الشرع الإسلامي هو الحل النهائي المقنع لأي قضية مستعصية بين الأفراد أو القبائل في هذه المناطق التي تلتزم بقواعد الشرع وأحكامه، وتقتنع بما يرد إلى الله في قضايا التشاجر، وتعتبر اليمين بالله قناعة يرتضي بها الجميع ويقدسون اليمين بالله تعالى .

فالإنسان في بلاد يافع إنسان يمتاز بالشجاعة والإقدام. كان الإنسان في بلاد يافع أكثر ما يعتمد على نفسه وقوته العضلية خاصة في طلب لقمة العيش لأسرته ونفسه في أي ناحية من نواحي الحياة دونما يعرض نفسه للمهانة والإذلال، يفتخر بأصالته وعروبته.

فصل الأفراح

الأفراح في مناطق يافع تكون في الأعياد المعروفة عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك وفي أفراح الزواج، وفي الاحتفالات الأخرى كأعياد الاستقلال للبلاد من بعد الاستعمار البريطاني الذي خيم على جنوب اليمن ١٨٩ عاماً، ولكن مناطق يافع لم يستعمرها الانجليز وإنما بث فيها الخلاف والحروب بين القبائل فقط، وأفراح استقلال وقيام الجمهورية اليمنية في مناطق الشمال لليمن، أما الآن فالحمد لله تمت وحدة اليمن بشطريه تحت اسم واحد الجمهورية اليمنية.

في العيد الأصغر وهو عيد الفطر أفراح بسيطة لا تكون إلّا في يوم العيد فقط، وذلك أن أبناء المناطق في يافع يحددون موقعاً فسيحاً خارج القرى والمدن لأداء صلاة العيد فيه، كل أبناء المناطق القريبة وكل قرية تحضر إلى ذلك المصلى حق العيد من الشباب والرجال والأطفال، وهي تحمل الطّوس والمرافع والأسلحة والجنابي، لابسين لباس العيد الجميل من الثياب، وهي لباس التراث لأبناء يافع: الفُوطة والمشدّة والشِّمزان والأكوات وأحزمة الرصاص في مظهر رائع يمثل أجمل الرجولة والشجاعة في صفوف متراصّة من نفرين نفرين في المسرح والعودة إلى ديورهم بعد الصلاة، وأربعة نفر أو ستة أو اثنين يتقدمون الزوامل وهم حاملون الأسلحة ورافعوها فوق أكفهم باليد اليسرى والجنابي أو السيوف باليد اليمنى وهم يلعبون لعبة البرع التي

تعرف بالسير بالطرقات، والزوامل تعج بالأصوات بكلمات شعرية في مناسبات الأفراح يعبرون فيها عن فرح الجميع حتى يعود الجميع كل إلى حبيل (ميدان) قريته وهم يرددون صوت الزوامل، و تسمع رنات الطوس والمرافع واطلاق الطماش والرصاص من الأسلحة.

وعند وصولهم حبيل القرية يتوقف الزامل ويقول أحد الأفراد في وسط حلقة الزامل الذي يتجمع بصورة دائرة ملتوية ويقول: نحن العمى، نحن الصواعق من السما، والجبا جيبوه. ويكون يوم عيد الفطر يوم هناء وكرم تحضر فيه الأسر الأكل، وكل أسرة تطلب الأقرباء الذي له بنت أو عمة أو جدة مزوجة في نفس القرية تدعى للحضور لأجل الغداء عند أهلها، والغداء أكثر ما يكون في يافع الأكلة المشهورة والمحبوبة أكلة العصيد مع السمن والعسل، وأيضاً اللحم والمرق، والبعض في الأزمنة الأخيرة يستعملون الرز ومن قبل كانوا لا يستعملونه، كما أن أبناء يافع في هذا اليوم يتجمعون في الدياوين والمنازل الضخمة المهيئة بالفرش والوسايد والمخادّ والشِّيش[١] والبخور، يتجمعون الأغلبية ويأكلون القات، وأحياناً العود أي الطرب للمطربين هذا في العيد الصغير عيد الفطر بعد صيام رمضان.

أما أفراح عيد الأضحى المبارك فإن أبناء يافع يستعدون له من قبل شهر أو شهرين يربون التِّبعان[٢] والأثوار الجميلة ويتقاسمون البقر ويربّون الغنم من المعز والضأن، ويأخذون[٣] الملابس للنساء

(١) يا ليتهم يبعدونها، ويا ليتهم يتركون أكل القات و الطرب.
(٢) التّبعان: جمع تبيع، وهو صغير البقر، ولا تجزئ البقر في الأضحية إلا إذا كانت ثنياً، وهي ما بلغت السنتين فأكثر.
(٣) يأخذون: يشترون.

والأطفال، ويستعدون أيضاً بالطعام من كل نوع يطحنون الحبوب لأيام العيد؛ لأن أيام العيد سابقاً كانوا يوقفون الطواحين والمطاحن من يوم الوقفة صباحاً إلى منتصف العيد، ويوم الوقفة يسمى في يافع بيوم الكرامة، وفيه كل أسرة تأخذ رأس غنم أو نصيفه أو ربعه أو يتقاسمون البقر، ويعطون من اللحم في يومي الكرامة والعيد للفقراء والمساكين.

وفي يوم الكرامة مساءً ليلة العيد يتجمع كل أبناء بيت أو عصبة ويذهبون إلى دار أكبر سن في العصبة أو البيت يحمل كل واحد جَبَنَة قهوة أو دلّة شاهي أو ثلاجة، والكبير فيهم عند الاجتماع يشرح لهم آداب الأعياد وكيف التعامل فيها، لأنه كان في يافع في شهر العيد ذي الحجة يمنع فيها سابقاً الحروب والقتل والنزاع والمضرابة والخراب أو أي شيء، والذي يضارب بأيام العيد كان سابقاً عليه خسارة كبيرة، وفي بعض البقع والمناطق الذين يتضاربون يدفع كل واحد سبعة رؤوس بقر، وهكذا كبير السن يحذرهم ويفهمهم كيف الآداب والعادات ويطلب منهم أن يتمسكوا بالآداب والتقاليد العريقة ويتعلموا البرع والرماية.

وفي يوم العيد يوم لأضحى ثاني يوم ليوم الوقفة بعرفة يتجمع أبناء المدن والقرى والقبائل إلى المنطقة المحددة لصلاة الأعياد في الجبّانة، والجميع لابسون الثياب الفاخرة، وحاملون الأسلحة، ومعهم السجاجيد للصلاة والطوس والمرافع بالمظهر الذي شرحناه سابقاً بذكر عيد الفطر المبارك، ويعملون بعد عودتهم من الجبانة كما عملوا بعيد الفطر، وثاني العيد يسمى يوم الذِّبّاح أي يوم النحر، يذبحون البقر الكثير والغنم من النوعين ويمتلك كل فرد وأسرة من اللحم الكثير ويفرق منه، ويحدد قطعة أو قطعتين كبيرة يرسلها كل واحد لعذله المتزوجة: بنته أو أخته أو عمته أو جدته الذي هن على قيد الحياة،

يرسل اللحم وقليلاً من الحب أو قرص ذرة أو دخن أو فلوس ويجلس ليلة واحدة عندها، ويتبادل الأصهار والأنساب كل واحد يجلس عند صهيره ليلة واحدة ويوم، وفي يوم العيد يجتمع أبناء القرى أو القبيلة إلى ديوان واحد ليتبادلوا الرأي حول سير الأفراح والمحطات طوال أيام العيد المقبلة، ويتخذون القرار ويشعرون به الآخرين على ما اتفقوا بقيام الأفراح بين القرى والمدن والقبائل وكيف سيرها.

وكذا أيها الأخ اعلم أنها كانت العادة عند أبناء يافع أن الذي يشل اللحمه لعذله أو كريمته أو بنته المزوّجة مع الآخر عندما يصل باب دارها يطلق العيارات النارية احتراماً لها وللأسرة الجالسة معها، وهذه الزيارات تكون من ثالث يوم العيد للعذل، وبعد ذلك تبدأ الأفراح بالمدن والقرى ومن مدينة إلى مدينة ومن منطقة إلى أخرى، والرجال والشباب يتجمعون بصورة فرق حاملين الأسلحة والجنابي والسيوف والطوس والمرافع، تتقدم الفرق التي تشل الزوامل الشعرية التي تعبر عن الفرح والأعياد، وتذكر الأحداث المستجدة بذلك الوقت وتعطي رأيها فيها، وتستمر الأفراح عدة أيام، والتماسي بالليل بالمدن الرئيسية بعواصم المكاتب في يافع لمدة عشرة أيام وأزيد ليتعلم الشباب البرع بالسلاح، الجنابي والسيوف، والتمسية لها ثلاثة أنواع من الحركات وضرب الطوس والمرافع فيها.

ويتخذون التسلية بالأفراح بالمدن والقرى بما يسمونه صاحب العيد الوالد[1]، أي الذي يأخذ لحم من حيوان حامل من البقر أو الغنم، وأحياناً يعينون أفراداً بأن عيدهم والد من أجل الفرح فقط وليس عنده

(١) الحامل يجوز التضحية بها شرعاً.

لحم من حيوان والد، وعند الفرح للمغزى بعد وصول الفرق العديدة إلى دار صاحب العنية المعين يجلس مع صاحب الدار فرقة ويعملون أنفسهم بأنهم مدافعون، والفِرَق التي تحوّط بالدار كأنها الجيوش المهاجمة التي تحتل المنطقة والتي تهزم الذي بالدار وبعد ذلك الذين بالدار يرمون الشُّقْر[١] فوق الفرق والورود والماء الورد أو القطر[٢]، ويقوم رب البيت المعين وينكس بندقيته إلى تحت رمز أنه قد سلم واستسلم للفرق، وبعد ذلك أي بعد الضرب إلى الدار ببنادق العربية بالباروت من دون رصاص والطماش وكذا الذي كانوا بالدار يضربون أمام الفرق سابقاً، وبعد نِكّاس السلاح ينزل الجميع الذين كانوا فوق الدار مكوّنين فرقة تشل الزامل معبرة عن نفسها، ورب البيت تمسكه الفرق المهاجمة وتربطه بثوب بالعنق وتشله أمامها قدام الفرقة ويعملوا فيه قليل سواد بالوجه على أن السواد بالوجه رمز أنه تسوّد بعمل لا يليق به.

وتعود كل الفرق المهاجمة له والمدافعة إلى ميدان المدينة أو القرية التي هي فيها، وعند وصولهم ميدان القرية يجب كل زامل على حده وعند دخولهم الميدان والطوس والمرافع تدق وأمام كل فرقة ستة نفر أو أربعة حاملين البنادق والجنابي والسيوف، كل واحد بيده اليمنى السيف أو الجنبية وبيده اليسرى البندقية حقه، والستة أو الأربعة أمام كل فرقة، ومن العادة عند أبناء يافع أن تكون البراعة إما بالسيوف كلهم أو بالجنابي، لازم يوحد المنظر وهكذا حتى تستكمل دخول الفرق إلى

(١) هو الريحان.
(٢) لعله قطر النعناع.

الميدان، وتكون آخر فرقة فرقة صاحب المغزى الذي شبه أن عيده والد، وبعد الاستكمال للفرق يعمل كل الفرق دائرية في الميدان ويتكلم أحد الأفراد المعين من القرى المنتخبين من القرى لجنة تتكون من ستة أو أزيد أو أقل تشرف وتنظم جميع الأفراح،كما يحدد الرجل المتكلم باسم اللجنة المشرفة على الأفراح أين يكون الفرح اليوم الثاني وإذا في أي خطأ في سير الأفراح يحذر من تكراره، ولأعضاء اللجنة على الأفراح زجر كل مخالف، وبعد الكلمة يقول حكم بالإعدام على فلان بن فلان ويقدم الشخص الممسوك بالعنق ويحني رأسه ويقوم واحد حامل سيف يقلدانه ينفذ فيه حكم الإعدام ضرباً بالسيف، ثم توسع الدائرة للرجال والشباب لإقامة البرع، وكان سابقاً في العادة يقوم أربعة أو اثنان من أبناء القرية التي فيها الفرح ويفتتح الأربعة أو الاثنان البرع يبدؤون هم أول برعة ثم يتبع الآخرون كما هو محدد سابقاً بالعادات، وبعدها كل واحد يحب البرع يقدم وعلى هذا المنوال تكون أفراح العيد.

كما أنها تكون أفراح كثير من القبائل الكثيرة العدد أفراح معلومة مثل: المحضار بلبعوس وكانت أمحاف في ظماء بالمفلحي، وأمحاف في شبر الحضارم، وأمحاف وبال في عثارة وكثير من مناطق يافع تكون الأفراح والبال بالأعياد في معظم المدن والقرى ليل ونهار، بالعيد صفين إما من الرجال أو من النساء، والشُّعَّار يتبادلون الشعر بصفة مساجلة بين الشعراء وأحياناً بشعر البال يصفون الأحداث ويهاجمون المنحرف والخائن وأحياناً مهاجمة الشعراء بعضهم البعض.

وأحياناً يهاجمون الذين يغالون بالمهر والجشعين ويعيِّرون الذين يخرجون عن آداب البلد وعن تراثها الأصيل والذين يجلبون الحضارات

الخارجية والتي هي شاذة وبعيدة عن تعاليم الدين الحنيف؛ لأن تراثنا الأصيل في يافع لا يقبل حضارة خارجية لا تتفق مع تعاليم الإسلام وآداب العرب لأن آداب العرب وأخلاق الإسلام تبنى على أساس الإيمان والتسامح والحب والوفاء بالوعد والايفاء بالعهد ونصر الحق الساطع، كان الشعراء في الأفراح يعطون السامعين لهم النصايح بالتعاون والتكاتف والتعاون ونصر المظلوم وبناء الوطن وحب الوطن الغالي.

ومن العادات والتقاليد الدينية في يافع

الأعياد الدينية لها احترام ومزايا في يافع وتقاليد، ولهم فيها عادات طيبة خاصة بعيد الأضحى ويسمونه العيد الكبير الذي يكون فيه المحافظة على قدسيته وحرمته وله اهتمام كبير، ومن العادات والتقاليد في عيد الأضحى المبارك أن كل أسرة تستعد للعيد بأمور كثيرة جداً من قبل أسابيع، يستعدون أولاً بأخذ الثياب الجديدة للأطفال والأسر والبنات، كل أسرة بما يناسب لباس البلد وتراثها وزيها، والأسر التي لا تقدر على شراء طلبات العيد يتعاون معهم الجيران وأهل القرى، ويمدونهم بالعون والمساعدة لشراء ملابس العيد وغيرها.

ثانياً: يستعد أبناء كل منطقة في يافع وما جاورها لاستقبال العيد بتوفير الدقيق وما يؤكل من الغذاء والطعام الذي يطحن من قبل أسابيع من يوم العيد لأنهم يقولون وقفة، تتوقف المطاحن والأعمال بعيد الوقفة، ويجهّزون ذلك من قبل قدوم العيد وطحن الحبوب للعيد، كما يستعد أبناء يافع لعيد الأضحى بشراء الأضحية للعيد لتذبح في ثالث يوم من وقفة عرفة، ويوم عرفة يذبحون الغنم ويحضرون اللحم للبيوت ويسمى لحم الكرامة بلحم أقل مما استعدوا فيه للأضحية، أما ثاني الوقفة بعرفة يسمى يوم العيد يستعدوا له من يوم الوقفه مساءً من بعد الظهر وخاصة في الزمان الأول ما قبل الستينات للميلادي، فالشباب والأطفال يجمعون من شجرة الشّخّض، رأس كل بيت ومسكن، كومٌ

من هذه الشجرة من قبل أسابيع للعيد لأجل يبوسه، لأن هذه الشجرة شجرة خفيفة وسريعة الاشتغال ومنها ترتفع اللهب إلى الهواء عالياً، وكانت كل أسرة تلصّي هذه الشجرة وذلك الكوم فوق سطح الدار في جميع مدن يافع وقراها سواء حضر أو بادية، ويُجمع أيضاً من هذه الشجرة كوم كبير جداً في ميدان كل قرية ومدينة لأبناء المدن والقرى في ساحة واحدة تسمى الحبيل أو المحضر لكل مدينة، ثم يشعلوا ذلك الكوم من الشجر وتطلع منها اللهب، وكل الشباب والأطفال شبه دائرة حول تلك اللهب والكوم، وبعد انتهاء اللهب يتمرن الشباب على العبور في النار والقفز فوقها من جانب إلى آخر شبه فرق الصاعقة أو إطفاء الحريق، أما في السنين المتأخرة فقد كثر ما يسمى بالمدنية والتقدم الغير تقدم وأنا أسميه التأخر الأدبي والأخلاقي والديني[1]، فإن الناس قد اتخذوا في السنين الأخيرة أخلاط الغاز السائل والمحروقات في قليل من الرماد الأبيض المتخلف من الحطب، ووضع الرماد بعد خلطه بالغاز فوق الدور والمساكن بطريقة أكوام صغيرة على دائرة سطح المنازل أو وضع الرماد مع الغاز في علب التونة أو غيرها بدائرة السطوح، وبين كل علبة وأخرى قدر فوتين ثم تشعل وتطلع اللهب.

(١) لا أظن أن المؤلف يتحدّث عن تغيير الطريقة لإشعال النار، وإنما ذهب باله إلى أمور أخرى.

التقاليد الدينية بالأعياد

وتعمل مساء يوم الوقفة ليلة العيد اللهب فوق سطوح المنازل والسرج أيضاً والزينة من لمبات الكهرباء السنين ما بعد الستينات الزينة الملونة، كما تعمل الزينة أيضاً في الزواج والأفراح وتكون زينة اللهب والسرج بعد صلاة العشاء، مما يجعل الناظر في تلك الليلة في مناطق يافع وهي تزهو بالأنوار والزينة والتراحيب بالعيد وإطلاق الرصاص من البنادق والطماش والرصاص المضيء من فوق كل دار في يافع، وكانت المناطق تضيء بذلك المنظر الجميل الذي ليس له مثيل في البلدان المتحضِّرة، كما كانت النساء والفتيات تغني سابقاً قبل العيد وترحب بالعيد بأشعار تميز العيد: سعيد الحاج[1] ذي الجبل يوم الكرامة وأشعار أخرى.

وفي ثاني الوقفة بعرفة يوم العيد يقوم كل الأفراد في الأسر: الكبار والصغار الشباب والشيوخ والأسر يقومون من آخر الليل مبكرين قبل صلاة الفجر بساعات، وتستعد الأسر لتنظيف الأطفال وغسلهم وإلباسهم الثياب الجديدة لباس العيد، ويتجه الكل إلى المساجد والجوامع لأداء صلاة الفجر يوم العيد، وهناك تسمع ضجيج التكبير بالمساجد قبل الصلاة، وبعدها تقام الصلاة للفجر وبعد صلاة الفجر عند أول إضاءة للفجر ومعرفة كل إنسان للآخر، يقوم المصلون في

(١) كأنه عنوان قصيدة تقال في عيد الأضحى، وسعيد الحاج معناه طوبى للحاج.

الجوامع بكل مدينة وقرية ويصفون أنفسهم كما هي صفوف الصلاة كل صف متجه للآخر، ويستقيمون الجميع ويبدأ الناس وهم الذي خارج الجامع في الدخول لصفاح الناس المصطفين بالصفوف بالمسجد ويهني بعضهم بعضاً، مثل عيد مبارك على الجميع، أو من العايدين على خير، أو من الفائزين إن شاء الله، ويبدأ يمر أمام الصفوف كلها ثم يتبعهم الصف الأخير بالمسجد وهلم جراً حتى ينتهي آخر واحد من آخر صف ومن صافح خرج ثم يعود الجميع إلى منازلهم، وعند عودتهم كل أسرة تتجمع قرب الدار ويتقدمهم أكبرهم سناً ويدخلون البيوت، وجميع الأسرة من النساء والبنات والأولاد قدهم في صفوف قائمين لاستقبال الذين أتوا من المساجد للعوّاد والتهنئة بالعيد، وتكون في مقدمة الأسرة كبيرة السن أو أم الأسرة أو الجدة أو أكبرهم وقد لبسوا لباس العيد الجديد في القاعة العامة للأسرة، وبعد العواد يجدون القهوة وبعض المأكولات من النوع الجيّد في ثمر البلد، ويتناولون القهوة والأكل وقليلاً من التمر، وبعد ذلك يقوم أبناء الجار بزيارة الجيران في مجاميع ويتقدمهم الأكبر فيهم ثم يمرون على البيوت المجاورة للعواد ثم التهنئة بالعيد وهكذا بالمدينة كلها للمتجاورين، وكل دار يضع قليلاً من الحلوى أو النعنع أو التمر أو الكيك ومن مر أخذ واحدة من الصحن.

وهكذا تستمر الأهالي بالمحافظة على التقاليد وتبادل التهاني بالعيد بحب وفرحة، وبعد طلوع الشمس بقليل يتجه الرجال شيوخاً وشباباً وأطفالاً إلى ساحة الملمّ (الجبانة)، والماشي يسير بطريق ويرجع بأخرى وفي الميدان أيضاً في الجبانه يجتمع أبناء القرى والمدن جميع أبناء المنطقة في محل واحد خارج المدن وبعد التجمع والتكبير في

ساحة الجبانة، ثم يأتي الخطيب لإلقاء الخطبة ويصلي بهم صلاة العيد، يكبر بالركعة الأولى تسعاً أو سبعاً بعد تكبيرة الإحرام، ثم يقرأ سورة الفاتحة، وبعدها يقرأ من القرآن، وفي التكبيرة الثانية للصلاة يكبر سبعاً أو خمساً، وبعد إتمام الصلاة للعيد يقوم الخطيب ويخطب ويشرح للأمة ما يدور وما معنى العيد وغايته وأهدافه، ويشرح القصد من التضحية وما ترمز إليه من معان سامية للبذل والفداء في مرضاة الله، وبعد الخطبة يقوم المصلون من أبناء المناطق المتجمعة بالجبانه صفاً واحداً بصورة دائرة كبيرة مستقيمين، وتبدأ مجموعة بالصفاح والتهنئة حتى يتم الجميع وبعد ذلك يعود الجميع إلى قراهم ومساكنهم في مجاميع شبه سرايا ويتلون الزوامل من الشعر الذي يعبر عن الأفراح وأعياد الإسلام أو ما يعبر عن الأحداث بالبلد أو الظلم أو التعسف أو العدالة وبكل ما يطلع بخليج الشعار وبالأرض مثل هذا الشعر:

سلام طافه كلما الشمس أشرقه　　بالجو لفه وأخلفه معلامها
مني إضافة ما الحروف اتراصفه　　ذي بالصحافة يعرفون اسامها

زامل آخر بصوت آخر:

مني سلام آلاف يتقسم　　من راسي القاسي بلا قيمة
واليعزفاني صوت له زجله　　والنار تلصى من زلاقيمه

ويكون أمام كل مجموعة زامل أربعة نفر للبرع بالجنابي والسيوف والأسلحة بيداتهم الأخرى، والطوس والمرافع أمام الجميع تدق للبرّاعة حتى تصل كل مجموعة إلى مدينتهم بالساحة العامة (الحبيل) ثم يتفرقون، وقبل التفرق تكون المجموعة للزامل شبه حلقه دائرية، ويقوم فرد قبل تفرُّقهم بإلقاء كلمة يسمونها التجبية للزامل مثلاً يقول البعض:

"سلام سلام تحية واصل ما حب ماطر" أو يقول البعض إذا يريد يشهر شجاعتهم وقوتهم يقول: " نحن الهما، نحن العما، نحن الصواعق من السما، وأنا ذيبكم"، ثم يروح كل فرد إلى أسرته والبعض يلعبون البرع بالسيوف والجنابي اللمَّاعة غالية الثمن؛ لأن الجنابي في يافع من أشهر وأغلى الجنابي باليمن، وفي أيام العيد يتدرب الشباب على الرماية وإطلاق النار من الأسلحة المتنوعة صنع أمريكي وألماني وانجليزي وآليات روسية أو غيرها.

تقاليد المدن والقرى في الأعياد وغيرها

وبعد الرجوع من صلاة العيد والزوامل والأفراح يوم العيد بالمدن وبعد ذلك وتناول الغداء وبعد الساعة الثانية يتجمع المواطنون للقات إلى دياوين تضم كل أبناء المدينة أو القرية أو الحارات للقات فيه وتتبادل الآراء، وثالث يوم للوقفة يسمى يوم الذبح أي يوم النحر للأضحيات، ويقوم كل فرد لديه أضحية خاصة له أو أفراد ينضمون على ذبح رأس بقر ويتقاسمون ذلك اللحم وعند الذبح يكبرون على الذبيحة[١] وبعد أخذ اللحم ووجوده بالديور يقوم المسؤول بالأسرة يخرج من اللحم للفقراء ومن هو بحاجة وإعطاء الأقارب والرحم من العمات والجدات والأخوات والبنات المتزوجات سواءً بالمدينة أو خارجها (وقد سبق أن شرحت قبل)، وتقدر لحمة العذل الواحدة من الرحم، العمة أو الجدة أو الأخت أو البنت أو بنت الأخ تقدر قطعة اللحم التي يعطيها في العيد بنصف رِجْل من رأس بقر كبير أو ستة أو خمسة أضلاع من الـمَتْنَة للبقري في لحمهن أي الأضلاع لكل واحدة من العذل الرحم.

ويحملها أحد أفراد الأسرة مع شيء من الحبوب (الطعام) وأكل مطبوخ تسمى القرص الكبير ينجَّح بالليل على الصَّلا (الأحجار الرهيفة)

(١) كانت لهم طريقة في التكبير غير مشروعة.

فوق لهب الحطب، والقرص يقدر بمكيال أو مكيالين[١] إلى بيت العذل، وإذا كانت العذل في قرى أو منطقة بعيدة من مدينتهم يروح واحد بعد يوم الذبح بيومين أو ثلاثة أيام ويسمونها الهدية والقديَّة،[٢] وعند وصول حامل لحمة العيد إلى بيت العذل الرحم قبل دخوله الدار الذي فيه عذله من الرحم يطلق طلقتين أو ثلاث رصاص من بندقيته قبل أن يدخل الدار عند عذله، وبعد وصوله يجلس عند عذله وزوجها يوماً واحداً، واللحم الذي جاب للعذل تُعَلَّق لينظرها الجيران ويعلقها زوج عذلهم افتخاراً بكرم أصهاره وما جابوا للعذل.

واعلم أن الرحم مهما علت أو نزلت بالقرب فإن احترامها وتقديرها عند أبناء يافع جميعاً، ولها حق الصلة والحق والمواصلة بكل نائبة وبكل مناسبة دينية أو أهلية أو وطنية حق واجب يقدمه أهلها وأقاربها وفي كل مناسبة للحصاد أو مروح غائب أو وصول الغائب من المهجر وبأي ضيافة فإنها لا تُنسى فيها أو تحرم من الخير.

(١) أحجام أقراص الخبز ثلاثة: كبير وهو هذا، والبُقسة، وهي أصغر منه حوالي ثلثة، والدّعنون، وهو الأصغر.

(٢) وفي بعض المناطق يسمونها عادة وعوّادة، وللأسف الشديد فإنه في العرف اليافعي جعلوا هذا الأمر بدلاً من نصيب المرأة من الميراث، ويقولون: ليس لها إلا القدية والهدية، أو العادة والعوّادة.

أيام الأفراح بالعيد وتعلم البَرَع

الأفراح كانت تستمر لعيد الأضحى أكثر من ثلاثة عشر يوماً، أما أفراح عيد الفطر فلا تزيد على يومين أو ثلاثة داخل المدن والقرى، وأفراح أيام عيد الأضحى بكل مدينة وقرية حسب تقاليد كل قبيلة أو مكتب من مكاتب يافع، تخرج الطُّوس المدروعة بالجلد أما صحن الطاسة المصنوعة من النحاس الأحمر أو الأصفر خاصة القديمة فهي صحن حوضي، وأيضاً المرافع الصغير من الطاسة المصنوعة أيضاً من النحاس وحجم المرافع الفتحة بفوت أو أزيد قليل والطاسة فتحتها تقدر بفوتين أو فوتين ونصف ودرعهن بالجلود المدبوغة تماماً، وأحياناً تكون الأفراح مشتركة بين المناطق المتجاورة، وأحياناً تكون الأفراح أيام العيد مشتركة بين المدن والقرى المتقاربة، وإذا اتفقوا مسبقاً على المشاركة بالأفراح بين المدن يُحدَّد اليوم الذي يكون البدء فيه لقيام الفرح وتحدد القرية أو المدينة التي يتجهون إليها أول يوم، وبعد الاتفاق والتحديد يروح كل أبناء المدينة بمجاميع زوامل ينشدون بها ويعبرون بالشعر حق الزوامل عن الأفراح والتقارب والمحبه والمصالح التي تربطهم، ومع الزوامل الطوس والمرافع وكل فرد حامل سلاحه: البندقية والذخيرة والجنابي، ويتم البرع بالزوامل وبساحات المدن والقرى، وأحياناً يكون بالأمحاف والتجمعات نشيد البال الذي يتبارى فيه الشعراء بصوت البال واللحن المعروف للبال في يافع، وفي الأفراح تحصل لعبة البرع المنوعة بيافع، برع سيف من نفرين أو أربعة وله

حركات فيه عند عودة البراعة من حد البرع يمشي ثلاث خُطوات ويقف بحركة متساوية للأرجل ثم يتقهقرون ثلاث خطوات ثم يعودون إلى الأمام بقدر ست خطوات وبالطرف الآخر كذلك، الثاني برع الحوشلي والبعض يسميه برع القبيات، وبرع المشى وزوامله لها نقمات تختلف عن برع الحوشلي والقبيات، وبرع أفراح الشواعة بالزواج له حركة ودقة طبول أخرى، وتستمر الأفراح وكل يوم يحدد أفراح اليوم الثاني من قِبَل متكلم.

وفي بعض المدن الرئيسية أو عواصم المكاتب المشهورة بيافع لها أنظمة خاصة بها في الطوس والمرافع وتعليم البرع للشباب والأطفال، فمثلاً مدينة الجُربة أولاد عبدالله بن مُحمد المفلحي الذي أنا منها فقد كان لأبناء الجربة نظام في عيد الأضحى منها خروج الطاسة لتمسية صباح يوم العيد عند خروج المصلين من صلاة الصباح، وتدق الطاسة بالحبيل، أيضاً التمسية في الليل من بعد العشاء بفترة، ويضرب بالطاسة والمرافع إنسان خبير بدقة الطاسة وأنواع الدقات لها وللمرافع، واحد يدق ويضرب بالطاسة واثنين نفر كل واحد يدق في مرفع واحد كما تدق نغمات الطاسة، ولضربة الطاسه بالتمسية بالليل ثلاث دقات لها ثلاث حركات بالبرع للسيف لمدة أربعتعشر ليلة، يتعلم فيهن الشباب والأولاد البرع بالسيف والجنابي، وكل الحركات بالأرجل واليدات بالجنابي، ونوع من البرع يسمى المثلوث والمربوع، وفي آخر العيد يقطع التمسية للعيد أحد البيوت، المخصّص لذلك بالجربة بيت بن محسن يقطع التمسية بضرب طلقتين رصاص أو ثلاث من رأس الدار المجاور للحبيل وليس من غيره، أيضاً محل التمسية للطاسة هو الحبيل ولا يسمح أن تدخل وقت التمسية أي درب أو قرب بيت إلا بالحبيل،

وتدريب الشباب البرع والحركات بليالي التمسية تعلمهم البرع ونظام حركات البرع، ويدخل الزوامل ومحلات الأفراح بالمدن والقرى إلا وقد تعلم أولاً بالليل أيام التمسية بالعيد، وكانت الجُربة المدينة التي اشتهرت ببرع السيف هي وقرية المحجبة مقر السلاطين آل هرهرة، وبعدهما مدن أخرى بيافع، ولجميع أبناء يافع شهرة كبيرة بالبرع في جميع مكاتب يافع في مكتب المفلحي ومكتب الموسطي لهم باع بذلك ومكتب الضُبي ومكتب البعسي ومكتب الحضرمي والحد والقعيطي والمناطق المجاورة ليافع التي تتفق عاداتها وتقاليدها مع أبناء يافع سواء بسواء.

المناسبات الدينية الأخرى

من عادات أبناء يافع وتقاليدهم الافتخار والاعتزاز بالمناسبات الدينية[١]: مناسبة هجرة محمد رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة، ويهتم بها أئمة المساجد والخطباء بالجمع، ويشرحون ذلك الحدث العظيم الذي حوّل مجرى التاريخ، ويشرحون أسبابها ودوافعها وأخذ العبر والفوائد وكسب المعرفة بذلك وقدر المتاعب التي تحمّلها خاتم الأنبياء في حياته التي عانى فيها كل المشقات في سبيل إنجاح الإسلام،كما يعتزون بمولد الرسول الأعظم محمد ﷺ مولد رسول الرحمة والانقلاب المعجز الذي أذهل العالم، وفي مولد الرسول ﷺ تقام الحفلات والشرح عن مولده ومعجزاته، وإشراقة شمس الإسلام وانقاذ البشرية بمولد محرر الانسانية من العبودية والذل، ومعرفة كيف كانت الأمم قبل مولده وقبل البعثة المحمدية، وكيف ساد في الجاهلية الظلم والانحلال، وكيف عاش الرسول ﷺ أول حياته وعمله وبداية

(١) هذه الأعياد الدينية (عيد الهجرة، وعيد المولد، وعيد دخول معاذ رضي الله عنه إلى اليمن) لا أصل لها في الشرع، لم يحتفل بها النبي ﷺ ولا الصحابة من بعده ولا معاذ ولا التابعون وإنما أحدث المولد النبوي في القرون المتأخرة، وأول من أحدثه العبيديون الباطنيون في مصر، وانظر في هذا الموضوع: "الفتاوى والمقالات المهمة في بدعية الاحتفال بالمولد النبوي لأبي ربيع محسن بن عوض بن أحمد القليصي الهاشمي، و "المولد النبوي بين المشروعية والبدعية".

الوحي إليه من ربه.

ويعتبر أبناء اليمن أن أول خميس من شهر رجب الحرام يوم كرامة بمناسبة وصول الرسالة من الرسول ﷺ إلى اليمن بأول خميس من رجب، يذبحون فيه بهذه المناسبة وللمناسبات الدينية حظها من الاحترام العالي عند أبناء يافع، ويحرِّم أبناء يافع الاقتتال والنزاع والخصام في المناسبات الدينية.

وتقاليد أبناء يافع أن من اعتدى أو ضارب أو عمل أي شيء ضار في أيام الأعياد أحكام تفرض على الفاعل مغلّظة تقدر حكم الفاعل بسبعة رؤوس بقر على الواحد بأيام الأعياد كلها، وفي احترام شهر رمضان والصيام ويعتبرون من فطر فيه وهو صحيح جريمة يعزر فاعله ويُنبذ، ومن عاداتهم إحضار الفطور إلى المساجد في حلق متجمعة ليحضر كل فرد ما معه إلى سفرة واحدة في حلق دائرية للجميع، ويساعدون الفقراء والمحتاجين بشهر رمضان ويعملون الطعام إلى ذوي الحاجة والمعسرين إلى البيوت، ويهتمون بصلاة التراويح في كل المساجد وتلاوة القرآن وحب الخير والالتزام لهذه الفريضة عند الجميع ذكوراً وإناثاً وكباراً وصغاراً وحث الأولاد على الصيام وتحمل أتعابه.

قانون القضايا والحلول

كان العرف السائد في كل المناطق بيافع وما يسمونه ويعتبرونه عرفهم أو بالمعنى الأصح قانونهم السائد والمعمول به وبين أوساط المجتمعات في يافع بشكل عام، وكان العرف المتمثل في تصرفاتهم العامة وعرفهم وقانونهم في الأعمال الجادة أو الجنائية أكثر حلول لها بالرجوع إلى أحكام الشرع المحمدي، خاصة التي يقدم على القيام بها بعض الأفراد من تلك القبائل في جميع أنحاء يافع، وإذا كانت هذه النظم والعادات تتفق أغلبيتها مع الأخلاق العالية والآداب الإسلامية وأحكام الإسلام الحنيف فإن العرف والعادات تطبّق في كل المناطق، وإذا وجد اختلاف في بعض المناطق إنما ذلك نادر وقِلة نوعاً ما بالتسمية أو بتشديدها أو تصغيرها بينهم.

ولا عجب إذا وصفنا تلك النظم والعوائد المعروفة لدى القبائل من قبل عام ستين وتسع مئة وألف ميلادي وما قبلها قد ربما وصفها غيري وقبلي، تلك العوائد والضوابط للأمور، وإذا وجد شذوذ فليس ذلك بتمثيل للكل بيافع، فلا يخلو مجتمع من الخير والشر، وإنما لابد يوصف أي مجتمع بزيادة أعمال الخير، وأنا أعتبر أغلبية النظم والعوائد في يافع سابقاً من أجمل وأرقى القوانين والنظم الضابطة لكل الأعمال المشينة، فمثلاً لما تقارن في المضرابات بين الأفراد من العيب عندهم أن يقوم نفران ضد نفر، أو أن يقدم أحد الأفراد أو

المجموعات على عمل العيب والغدر ضد إنسان آخر، وإذا حدث مثل هذا العمل المُعيب يسمى عندهم إجبار من الأفراد على نفر واحد، ويطبق عليهم حكم تأديبي بتصرفهم ذلك، كما أن المسك بالسلاح عند التشاجر وإشهار أي فرد السلاح الأبيض على إنسان آخر بدون أن يحدث فيه أي ضرر كإشهار الجنبية فإن عليه حكم رأس غنم إلى عند المشهر عليه بالجنبية، وإذا لم يوجد رأس غنم فعليه ريال والريال يقدر بأوقية من الفضة، وهذا إذا شهر السلاح بأن مسك رأس الجنبية فقط، وأما إذا شهر الجنبيه وأخرجها من جفيرها (غِمدها) ورفع يده بها، فحكمها خمسة ريالات فرنصة أي وقية الريال من الفضه وسبعين ريال أي خمسة وسبعين ريال فضي، وهذان الحكمان بدون الوصول إلى الجسم، أما إذا وصل إلى الجسم فعليه القصاص بالشيء مثله، والحكم بأحكام غليظة بهذا شبه دية أو ما يعادل ذلك، إلا إذا سعى ناس آخرون بينهم ودفروا، والذي نوى الطعن لصاحبه ومعهم في دَفْرتهم رأس غنم أو عذل إلى جنب المعتدى عليه فإنه يقبل الدفرة ويسامح بها.

وإن من صفاتهم الجميلة وتحليهم بالمكارم أنهم يلتزمون لهذه النظم والعادات ويتقيدون بها، ومن العيب التلاعب بها أو عدم الالتزام لها إذا حدث تشاجر بين نفرين أو بين مجموعات وبدأ النزاع على أي حادثة أو نزاع في الأرض أو غيرها أو نزاع اجتماعي عند بداية النزاع والتشاجر ووجد أي نفر يكون محايد من ذلك النزاع أو من هو بعيد عن ذلك النزاع عندما يشوف[1] حدة النزاع وشدته ورأى أن النزاع

(١) يشوف: يرى.

وشيك الخطر يطلب من كلا الطرفين ضمّاً، أي الذي يضم الطرفين ويلزمهم بالتقيد بالضمّ وعدم الاعتداء من أحد الطرفين أو التصرف الشاذ ويأخذ الضم الوسيط المحايد، والضم يعبر على المطالب لكل فرد يطلبها، ويبدأ الوسيط بالبحث هو ومجموعة بالأسباب التي أدت إلى قيام النزاع.

ونوع الضم الذي يقيد الأفراد والجماعات به هو البنادق للأمور الكبيرة، و الجنابي (السلاح الأبيض) للأمور المتوسطة و الشِّفار أو السكاكين للأمور الصغيرة، وكلما حط[١] أي إنسان أو مجموعة هذه الضموم يتقيد من عمل أي عمل مشين وضار، ومن عمل شيئاً ضاراً بعد الضم عليه حكم وغرامة مالية أو رأس من الحيوانات تأديباً على فعله، والذي شل الضم يطلب العُرَّاف وأهل الخبرة لبحث الأسباب، والضم يماثل توقيع الإنسان على وثيقة التزام تماماً وقبول أي حل للقضية.

والقناعة عند أهل يافع لحل القضايا بالأرض وما شابهها بأصحاب الخبرة بالموقع والذين هم مجاورون للموقع أو يمرون يومياً به ويعرفونه تماماً أو بالوثائق العامة والخاصة (الأسجال) أو بالشهود أو بالقَسَم من أحد الطرفين في آخر المطاف، والقسم كما يقول الرسول ﷺ "البينة على المدعي واليمين على من أنكر"[٢] هؤلاء هم أبناء يافع فما أعظم النفوس المتسامحة.

(١) حط: ترك.
(٢) أخرجه الترمذي (١٣٤١).

القضاء والشورى

كانت النظم والقوانين بين أبناء يافع في كل شؤونهم العامة والخاصة يغلب عليها دائماً سمة الشورى في أغلب المناطق وخاصة المدن الكبيرة وعواصم المكاتب سابقاً، فمثلاً من أجمل الصفات والمميزات التي سادت بين قبائل يافع ما أذكره مثلاً مما عايشته في بداية حياتي الأولى في مكتب المفلحي مدينة الجربة والتي كانت عاصمة مكتب المفلحي، كان في الوقت السابق قبل الاستقلال وقيام حكومة الثورة في سبعة وستين وتسع مئة وألف ميلادي كان الشيخ المفلحي من الجربة لا يستطيع أن ينفِّذ أي حكم في قضية بين أفراد أو قبائل إلا بعد اجتماع ستة أو سبعة أفراد يمثلون كل بيت بالجُربة؛ لأن الجربة تنتمي إلى أب واحد هو عبدالله بن مُحمد باعلوي بن ندي، والجربة تضم سبع عصيب(بيوت)، وكل بيت يمثله رجل ويجتمع الممثلون جميعاً مع الشيخ على كتابة صيغة الحكم وبحث جوانب كل قضية، وبعد استكمال البحث بالقضية من جميع الطرق والجوانب يعلنون الحكم، والشيخ هو الذي يقرأ الحكم، وتُفْرَض ريالان تسمى فريضة الحكم والسماع كما يسمى الآن رسوم أو دمغة، والحكم لا يصدر إلا بعد استكمال القضية والأثبات والشهود ودراسة الوثائق والبراهين والتعرف على آراء ذوي الخبرة بنوع القضية وكانت من عوايدهم وعاداتهم.

وهكذا في كل قبيلة مجموعة تعيَّن من ذوي الذكاء والمعرفة والخبرة لحل القضايا، وإذا استعصت أي قضية من الحل في مجتمع القبيلة الصغيرة رفعوا بها إلى القسم الأكبر من القبيلة ثم إلى عاصمة المكتب الذي يضم كل القبائل، وهناك تحل القضايا بواسطة المجموعة التي تختار لمجلس شورى، وعند إصدار الحكم بين الغرماء يطرح الحكام على الغرماء ثلاثة شروط[١] لكل غريم:

الشرط الأول: إما أن يجيز بكل بنود الحكم ويقتنع ويوقع على قبول الحكم.

والشرط الثاني: إذا لم يجوّز بالحكم يناقد من أي نقطة كان فيها الخلاف والخطأ عليه بالحكم الذي سبب عدم قبوله للحكم.

الشرط الثالث: يناقد ويجيب له مُنَاقد ذي معرفة وخبرة بالعادات والأحكام والعوائد، كما كانوا يطرحون للغرماء حرية الاختيار بالحكم بالقبول أو بالإجازة أو المناقدة إذا حبُّوا للشرع أو المنع[٢] أي العرف.

كما كان في أغلب الأحيان أن الغرماء وخاصة الذين ينقصهم الذكاء وقلة الكلام والمعرفة بالقضايا والأحكام يتخذون لهم محاولين أي محامين ويسمون المحامي محاول أو وكيل، ومن العادات عندهم أنه إذا طرح أي إنسان وكيل بغيابه أو عند القضايا فمن حق الوكيل أن

---

(١) مقصوده ثلاثة خيارات.

(٢) الواجب التحاكم إلى شرع الله، ولشرع الله في العرف ضوابط معلومة، أما أن يكون العرف شرعاً عاماً فهذا شرك أكبر، فالله تعالى لم ينزل الشريعة إلا للتحاكم إليها، قال سبحانه: «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله».

يتصرف باسمه ويقطع أو يمنع ويشرع بأي قضية تكون بصالح موكله، ويعترف بالوكالة كل الأفراد لأن الوكالة تكتب بالمكتوب وعند المخصص لكتابة الوكالات والوثائق.

ومن العادات الجميلة عند أبناء يافع جميعاً أنهم يحرصون على صدق القول والوفاء بالعهد وصدق الوعد وأي فرد يخالف ذلك يُحتقر بين الناس ويُكره، ومن عاداتهم الفاضلة التي ترتبط بأحكام الشرع أنهم يكرهون الإنسان الكذاب وتسقط قيمته بين الناس ويمقتون السارق ويهان بالمرة الأولى والثانية والثالثة، والسرقة من أكبر العيوب عندهم بيافع، والزاني إذا اكتشف ينفى من البلد إذا لم يكن متزوج أما الزاني المتزوج فإنهم يقتلونه الذكر والأنثى، ومن عاداتهم وتقاليدهم أنهم يلتزمون ويحترمون كل المواثيق والعهود والعادات في أوساط المجتمعات الصغيرة والكبيرة وكل العوايد والطرق والمساقي وعادات الأفراح، كما كانوا يمقتون الناس الذين يتغالون في المهور أو يزيدون الشروط والتكاليف في الزواج، كما يعتبرون أنه من العيب الفاضح فسخ أي خطوبه بعد أن أُعلنت أمام الناس ولم يكن فيها شروط تعسف على الخاطب أو فسخه الخطوبه لأسباب الطمع والمال.

السموّة والدّفرة يحلان القضايا المستعصية[١]

وكانت من أعراف الأولين وعاداتهم الحميدة عندما يكون هناك نزاع مزمن وأتعبهم حله ولم يتم الصلاح بسبب عدم الإفصاح بالوثائق في موقع النزاع أو تشابك أو تداخل الوثائق والبراهين أو إصرار البعض على ما يفهمه هو بالبراهين من نص الوثائق حقه فإن المحايدين من القضية ومن الذين لهم احترام واستماع الكلمة عند الكل إذا جاء له ولد يقوم ويَدْعي من أولاد عمه وأبناء قريته وعصبته فيستشيرهم بهذا الرأي ويقول أريد أن أرسل سِماء لأهل فلان وأهل فُلان للتدخل في حل القضية المزمنة بينهم، فيكتب رسالتين، رسالة لطرف ورسالة للطرف الآخر من المتنازعين ويكتب فيها: أنني قد سميت إلى عندكم بهذا المولود الجديد أنتم وغرمائكم وطالب منكم قبول السِّماء منكم ويؤكد لي ذلك القبول منكم بجوابكم برسالة منكم جميعاً وضمّ (بندق أو جنبية) لصدق القبول، فإن قبلوا أرسلوا إليه برد يوقعون عليه جميعاً وجنبية تكون بيد صاحب المولود على قبول السماء، وبعد أيام من قبول الطرفين غلاق سبعة أيام أو أنقص أو أزيد يطلب كم نفر يحضرون من كلا الطرفين لمناسبة ختان الولد فيقبلوا، كلٌ من جهته، ومع كل طرف رأس غنم كبير أو رأس بقر وجنبية وثياب للمولود

(١) مولود جديد يسمى من أجل حل نزاع مستعصٍ، والدّفرة وفد يأتي بصورة مخصوصة سيأتي بيانها.

الجديد وبعد الختان يناوله الطرفان القضية وحلها ويسلمونه موقع النزاع يهب أو ينهب راضين بما يصدره من حل، ويسمون الولد الجديد باسم واحد من المتنازعين برضا الغرماء ويحل القضية وليّ أمر الطفل الجديد، ويدفع الغرماء عند الختان للطفل الجديد ثوباً لأم الولد وقليلاً من النقود من كل طرف من الغرماء، وعند حل القضية يجتمع الغرماء في بيت صاحب الطفل ويحدد أبو الولد الحكم بالقضية وإنهاء النزاع ويعمل بينهم حكماً يوقع عليه كل الأطراف بالنزاع والشهود، ويعطي كل طرف نسخة بالحل ونسخه تبقى لديه، وعند بداية إرساله الرسائل إلى الأطراف يقسم بالله أنني لا أحيد أو أنحاز وأن قصدي حل النزاع بينكم فقط وصلاحكم وأقول الحق وأريد إعطائي ثقتكم بصدق ما أقول.

وهذه الصفة أي السماء في الولد الجديد لا تكون إلا للأمور المستعصية الهامة في عرف الأولين وطال النزاع فيها، مثل القتل الغير العمد والنزاع الكبير المزمن وفي الفتن والحروب بين القبائل والإصلاح بينهم أو طلب شيء لا يقدر على شرائه صاحب المولود الجديد يعمل ذلك للحصول على طلبه بذلك.

ومن أهم الأمور التي تحل القضايا المستعصية والهامة الدفرة بعذل أنثى أو بالسّماء عند ولادة طفل، الدفرة برأس بقر ومجموعة، هذه ثقيلة لدى الجميع ولها احترام واعتبار، ومن رفض هذه الأشياء يعتبر إنساناً عديماً ويحتقرونه الجميع ويعتبرونه رجلاً شاذاً لا يعرف الشرف والتقدير، والسماء والدفرة بالبقر والعذل تسقط قُتْوَل الخطأ والعمد عند كل قبائل يافع، أما الاعتداءات الباطلة فيكون بالشيء مثله أو ديته أو التسامح، والاعتداء على حراب الأرض الزراعية يدفع المعتدي على

الحبل خمسين رابعة حب بحسب نوع الزراعة التي اعتدى عليها من أي نوع، إن كان ذرة أبيض دفع ذرة أبيض، وإن كان بُراً دفع براً، وإن كان غير ذلك دفع بمثله الذي اعتدى عليه، وهذا قانون رسمي بينهم في يافع، وإن اعتدى على حيوان دفع مثله غُرم.

ومثله حكم الاعتداء على الأعراض أكبر جريمة كما وضحنا سابقاً بحكم الشرع ولا كان يحدث أبداً بيافع إلا نادراً في نسبه تقدر واحد من مئتين فقط، والاعتداء على الأشياء العامة مثل أشجار الخلاء أو المراعي أوالطرقات كل ذلك ممنوع.

أما ممتلكات الأوقاف للمساجد وغيرها فلها حرمتها، الذي تكون في يده الأراضي الوقف يعمل فيها ويبتل ويزرع ويقسم للمسجد نصف الثمرة من أي زراعة كانت أو خضروات، والمقيمين بالمساجد بدون أجور ابتغاء وجه الله وطلب للأجر من الله، وآبار المياه العامة مخصصة للشرب للمدن والقرى سبيل، وإذا عدم الماء يسمح أخذ ماء الشرب للأسر من أي بير يوجد فيها الماء، محلات شرب البقر والغنم والرعاة مخصصة وبها كانت وثائق ولا يحق لأحد المنع أو الاعتداء عليها المراعي محددة لديهم.

الحفاظ على الأسر وإصلاحها

كان من واجب الأفراد أنه إذا سمع بأي خلاف بين نفرين، أو بين الزوج وأسرته أن يعمل بكل ما يستطيع لحل الخلاف ولمّ الشمل وأن يؤدي واجبه خاصة إذا كان جاراً للأسرة التي حدث فيها الخلاف، ومن العادات الطيبة الحفاظ على تماسك الأسر، فإن العادة بيافع أن أبا البنت أو أخاها ووالي الأسرة إذا حدث سوء تفاهم بين الزوج وزوجته لأول مرّه فإنه (والي أمر البنت) إذا جاءت إليه وإلى داره حَنِقةً من زوجها أو من أفراد أسرته لأي سوء تفاهُم فإنه عندما تصل إليه بنته أو أخته حنقانة من بيت زوجها فإن واجبه أن يمسك بيد بنته أو أخته ويعيدها إلى بيت الزوج بنفسه أول مرة وثاني مرة يردها والدها أو أخوها إلى بيت الزوج وينصحها بعدم تكرار مثل هذا كما ينصح الزوج باحترام الكل والمحافظة على أسرته.

ومن العادات عندهم الاهتمام والمحافظة على الجار ولا يسبب له أي أذى، وكانت العادة بيافع سابقاً أنه إذا أخذ أحد الجيران لحماً فإنه بعد الطبخ يرسل إلى جاره قليلاً من اللحم ومطيبه مرق لكل الجيران القريبين، وهذه العادة كثيراً ما توقفت من بعد أعوام السبعينات للميلادي، ومن ذبح منهم لا تطمئن نفسه أن يأكل اللحم والجيران محرومون منها فيعطيهم مما معه من اللحم حسب قدرته.

وإذا دفروا ناس كثير ضيوفاً إلى عندهم فإن العصبة كلها أو القرية

يتحملون كل تكاليف الضيوف وكل أسرة تأخذ منهم نصيباً من الوافدين إليهم لضيافته في الأكل والشرب والمسكن.

وإذا حدث تشاجر بين قبيلتين أو بين مجموعتين هبت قبيلة أخرى ثالثة وقامت مجموعة منهم وحملوا السلاح وقادوا معهم أحياناً رأسين غنم إلى كل طرف رأس، وأحياناً بدون غنم ويصلون إلى عند القبيلتين ويطلقون العيارات النارية من البنادق، يدفرون إلى عند القبيلتين ويعملون بينهم أولاً هدنة يسمونها صلح لمدة أسابيع، ويأخذون من كل طرف إما وثيقة تعهد بعدم اعتداء حتى تحل القضية، وإمّا من كل طرف بندقية يسمونها حفظ وصيانة والتزام بمد الصلح وعدم نقض أي اتفاق، والمجموعة الثالثة التي تدخلت في الواسطة وعملت الصلح تبدأ ببحث القضية وحلها أو تسعى إلى التسامح بين القبيلتين.

أما إذا حدث أي خطأ من أحد على آخر بدون عمد فمثل ما قبلها تروح مجموعة إلى جنب الدار حق المجني عليه بدفرة ومعهم رأس غنم أو بقر أو بدون حيوان، ويقولون أتينا بأوجاهنا ودفرتنا ورأس الغنم أو البقر ويذبحون ما شلُّوا[١] معاهم تلك اللحظة وقارح بنادقنا، أتينا إلى ساحتكم وقال المثل: "من أتى فوقك كسر عاقك، ومن هو بالدار ما عليه تعذّار" فيقول المجني عليه: أهلاً وسهلاً بالوصول دفرتكم وما أتيكم[٢] به فوق العين والرأس ولا تعودون إلا مشقّرين[٣] ويسامح المجني عليه ويكتب وثيقة سماح ويعطيهم تلك الوثيقة.

---

(١) شلوا: أخذوا.

(٢) أتيكم: أتيتم، بإبدال تاء الفاعل بالكاف.

(٣) أي: يوضع فوق رؤوسهم الشُّقر، وهو الريحان.

التعاون والزكاة والصدقة

هذا عرف سائد حتى زمننا هذا ومنذ البداية في بلاد يافع يتعاون الجميع ويمدون يد العون لذوي الحاجة والمعوزين وخاصة عند حصاد الزراعة ونهاية شهر رمضان وعند صِراب[١] زراعة الحبوب والبر والبن وغير ذلك يتحصل الفقراء على نصيبهم من ذلك مخلّف الأوقات العادية بالأيام وعند إخراج الزكاة والنوائب مثل زكاة الفطر، في نهاية شهر رمضان من العشر الأخيرة من الشهر تبدأ إخراج فطرة الصوم على كل نفر صاع من الحبوب الموجود في البلد وأغلب قوت البلد الذرة والبر، تقسم على جميع الفقراء والمساكين سابقاً، وزكاة الحبوب عند الحصاد يخرج المزارع العشر ويقسم سابقاً على كل الفقراء والمساكين وذوي العادة والمدرسين (الفقهاء)، وكذا البُنّ يخرج العشر يفرق على الناس الذين ليس عندهم ملكية بُنّ وفقراء ومحتاجين للبُنّ مع أن البن أثمن شيء في البلدان، وبن يافع من أجمل البن في العالم وكل مكان يمتاز بشيء، وفي يافع في شهر رمضان كانت العادة أن الأغنياء يعملون كل يوم أكلة لأسرة من الفقراء طيلة شهر رمضان، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان التي يسمونها ليالي التوديع كل واحد يعزم مجموعة من أصدقائه خاصة البعيدين من القرى، وفي يوم العيد تكون عزومات لكل الأرحام والأقارب في كلا العيدين، والإنسان الذي يمر

(١) الصِراب: الحصاد.

عند جَنْي[١] البن أو البر يعطي منها خاصة الذين ليس عندهم من البن أو البر أو الناس الذين عندهم زراعة غير زراعة تلك المنطقة يعطون منها.

الدقة عند أبناء يافع والالتزام بالأحكام الشرعية لإخراج نصاب الزكاة في المزروعات والأغنام وغيرها، ومن الصفات الجميلة عندهم أنه كل فرد يخاف من ربه ذكراً كان أم أنثى في إخراج زكاة المزروعات ولن يرفض أي شخص ذلك أبداً، وفي الأعوام الأخيرة بعد الستينات وقيام الدولة يخرجون الزكاة للحكومة ومثل الزكاة يزيدونها لإعطاء الفقراء والمساكين، وكان الأولون يعيِّرون كل فرد يأخذ ربا على أي قرض رجل مخالف للشرع ويسمونه مَرْبي ويمقتونه، وكانوا يعتبرون أجرة الفحل من الحيوان حرام غير أكل للحيوان من القصب حق الزراعة، دقة متناهية وخوف من الأمور المشينة عند الجميع.

(١) الجَنْي: الحصاد.

السّلَب (الأسلحة) وأسماؤها

يشتهر الإنسان في بلاد يافع في اعتزازه بلبس السلاح أي البندقية بكل أنواعها قديماً وحديثاً، فبالزمن القديم كانت أسلحة أبناء يافع البندقية التي كانت تسمى بالعربية وكانوا يصبُّون الرصاص بأنفسهم لها، كانوا يضعون الباروت بأنفسهم من فحم شجرة العِشَر والملح الذي يخرج من الدَّمان (السماد) والأمطار مع قليل من الكبريت الأبيض سابقاً.

وأول من جلب البنادق العربية إلى بلاد اليمن هم الفاطميون، وسميت بنادق نسبة إلى مدينة البندقية، وللبنادق العربية عدة أسماء، لكل نوع منها اسم خاص به، والاسم الجامع هو البندق العربي، ومن الأسماء التي وجدناها مع الآباء والأجداد قبل أربعين سنة بندق عربي اسمه القوّال، وبندق عربي اسمه الحيّة، وبندق عربي اسمه الخماسي والفرنجي والرومي.

والأدوات التابعة للبنادق العربية والتي هي ملازمة له ومكملة:

أولاً: الباروت الذي يشحن بالبندق ويسوق الرصاص إلى الهدف المطلوب، ويصنع الباروت في كثير من مناطق يافع من الكبريت الأبيض الذي يشبه الرخام، ومن الملح الذي يكون فوق مياه الأحواض والأماكن التي يمكث فيها ماء المطر وتكون قرب الدَّمان[1] حق

(١) الدّمان: السّماد.

الحيوانات؛ لأن الملح ينزل من الدمان والماء حق المطر الذي يتجمع فوق أكوام الدمان.

ثانياً: العدة المصنوعة من الحديد أو المعدن أو الكِيم[١] أو غيرهما.

ثالثاً: المذخر الذي تكون فيه الذخيرة لإشعال البندق وقراحه بالرصاص.

رابعاً: المطرقة والتي تكون لاصقة بالحزام الملوي على خصر الانسان تماماً.

خامساً: الزلام وهو الحزام.

ثم جاءت الريافل وأسماؤهن كما يلي:

ريفل يسمى أبو طبق،وريفل يسمى فتيني أبو مَسْكة والمسكة حلقة من الصّفر، وريفل يسمى الطويل أبو مسكتين من الصفر أعلى الريفل وأسفله، ثم أتت بعد ذلك البنادق الريافل الهروت وزانتها القضقاض، ثم جاءت بنادق الصُّوبة وبنادق القفشى إنجليزي والخشبي والكَنَيد[٢] والجرامل (ألماني) الطويل والقصير، ثم الزاكي والنواظير وأنواع عديدة والبلخي والبلجيك ثم الجرمل وزاكي كرام والبشلي، ثم بنادق البلجيك والبلخي صنع بلجيكا، ثم البنادق المريكاني اتماتيك (إم ون) ثم الرشاشات ثم أخذوا بعد الستينات بامتلاك البنادق الآلية الروسية والشيكية والمسدسات بكل أنواعها، وبهذا الصفات كان الإنسان في

(١) الكيم: معدن يشبه الفضّة.
(٢) جمع كَنَدَة.

يافع الذي يحافظ على كرامته وأسرته يصارع كل متاعب الحياة دون خوف أو وجل في أرضه الحبيبة.

ومنه السلاح الأبيض الجنابي اليافعية المشهورة بالجودة، وجنابي أبناء يافع من أشهر الجنابي باليمن مثل جنابي الصّيفان[١] وهن أغلى الجنابي وأجملهن ثم جنابي الزُّراف[٢] الحمراء اللّب والزراف العادي وجنابي المزْرع[٣] فيها المسامير الصغيرة، والبهيص والجودر والقرن[٤] وسن السمك والمعدن وأنواع أخرى من الجنابي، هذه متواجدة إلى حد التاريخ.

ثم السيوف الملبسة بالذهب والفضة المشهورة، والنّمش،[٥] والسكاكين، والشِّفار،[٦] وأمقاص من الحديد، كل ذلك كان صنع اليمن سابقاً وكلما يطلبه الإنسان ويحتاج إليه في ذلك الزمن من صنع البلد واعتماد ذاتي على الأشياء المحلية مما جعل أبناء يافع يمتازون بالحرية والشجاعة وعدم القبول للتبعية والذل والاستكانة للغير.

(١) الصَّيْفان تصنع من قرن وحيد القرن.
(٢) الزُّراف: بضم الزاي، ويبدو أنها تصنع من قرن الزّرافة.
(٣) المَزْرع: تصنع من قرن الوعل، وبعضهم يقدّمها على الزُّراف.
(٤) تصنع من قرون الحيوانات، وأشهرها الجاموس.
(٥) النمش: جمع نمشة، وهي تشبه السيف.
(٦) جمع شفرة.

لباس المرأة

اعلم أن لباس المرأة في مناطق يافع متنوع الألوان، وكان في الأزمنة القديمة ما قبل الأربعينيات في التاريخ الميلادي يوافق بالتاريخ الهجري ما قبل ألف وثلاث مائة وثمانين كان لباس النساء الشائع حينها الثياب السوداء التي تسمى الشقّة السوداء، وهي جافية الخيط والسمك للقماش والمصبوغة باللون الحاني الأسود اللمّاع، وتزيّن تلك الثياب من الشقق بخيوط وخطوط من الخيط الأحمر والخيط الأخضر والخيط الأصفر، وتكون هذه الزينة في الثوب من الخلف وجزء منه فوق الصدر برسمات عجيبة وجميلة ويسمونه التبشيت، ومن الثياب السوداء ثياب البراكيل التي تقطع من قماش الكار المغزول من القطن ثم تصبغ محلياً أو في عدن أو يجلبونها من منطقة بيحان القصاب، وتزيّن تلك الثياب أيضاً بالبشت من الخيوط المنوعة والمشكلة.

والصباغ كان منتشراً في يافع له مهنيين للعمل به وكان يتم الصِّباغ من شجرة الحِورْ التي كثيراً ما تتواجد في المناطق الحارة والأراضي التي تشبه المدرّجات مثل مناطق الشعاب في مناطق المفلحي: شقرة ولعنوق وضمهيل وظيسوت وحمر وشعاب الذراحن والسليماني ومشألة والعياسئ وما شابهها من المناطق في حالمين وغيرها، ويخلط أوراق شجرة الحِورْ بعد يبوسه مع الحطم الذي يشبه الحجارة الرطبة وهو أسود اللون، وتغمر الثياب بذلك أوقات وتردد فيه الصباغ ثم تخرج منه

وتفرش بالشمس ثم تلف وتلمّع بالمكمد الذي يصنع من الخشب له يد وجافي.

وكانت هذه الثياب للنساء تلبس واسعة الحجم غير ضيقه، والأكمام حق الثياب تطوّل إلى جنب الرسغ لليد والبعض تنقّص قليلاً من ذلك، وللثوب فتحه لدخول الرأس تقدر بنصف فوت (شِبر) وتزرّر من خلف الرأس، وكان البعض من النساء من تلبس ثوبين، واحد خفيف والآخر جافي مع كل الاحتفاظ بالستر والكرامة والحشمة، وتشدّ فوق الثياب على خصر المرأة إما بالمعجر أو بالعصرة أو بالمشدّة الدولي بعضها تصنع من الحرير بالخارج، وأكثر ما كانت المشدّه تلبس للأفراح والأعياد والمناسبات، وهذه الأشياء من المشدات والعصر والمحاجر طويلة جداً تقدر بالطول بقدر أربعتعشر فوت أو اثنعشر فوت وأقل شيء ثمانية فوت، ويدلل أطراف العصرة الطرف الأول والأخير بقدر ثلاثة فوت(قدم) على قدر القامة للمرأة مما تكون أطراف المعجر إلى فوق القدم للمرأة.

كما أن اتساع المعاجر بالعرض والمشدات والقصر يكون عرضها لا يزيد على ثلاثة قدم (فوت) وتعطف (أي تربع بالتعطيف) أرباع بالطول، وتمتد أطراف المعاجر والمشدات الحرير للنساء تمتد بعد طيها على الخصر إلى قرب كعب الأرجل كلتا الأطراف الاثنين، وفي الأطراف ذيل تشبه الورد، وكذا العُصر المصنوعة للنساء خصيصاً سابقاً.

وأما أسماء الثياب التي كانت تلبسها النساء فهي: الشقة، البركالة، الكسوة، الطاس، القميص، الصُّولي، المخمل، وكان الأسود من

الثياب هو الغالب كما أن أطراف المعجر أو العصره تزيّن بذيل تشبه الورد من الجد المغزول وتلف على خصر المرأة فوق الثياب وتسبل الأطراف للأمام، وثياب النساء تغطي الجسم وفيه نوع من الفضفضة، وعلى الرأس تُلفّ الشبكة السوداء الخفيفة أولاً ثم يغطى بالـمَصَر الحرير أو العقدة الكبير أو المقرمة أو الـمـَجْول على الرأس كامل ويرسل معظمها خلف الرأس إلى أعالي الظهر من الخلف وعلى الجنوب والصدر ولا يبقى إلا الوجه والكفان للمرأة مكشوف.

شَعَر المرأة

كانت العادة سابقاً قبل أربعين سنة وقبل إدخال الموضة أو التقاليد الأجنبية على اليمن كانت المرأة تنظِّف الشعر وتمشطه بأمشاط من العيدان أو شوك القنفذ المدبّب، وتغسل شعرها إما بصابون عادي كان يصنع في عدن أو تغسله بماء العِلْب وهو السدر من الورق يدق ويغسل فيه لأن فيه رغوة تشبه الصابون، وبعد الغسل والتمشيط تقسّم الشعر أقساماً، جزء من الشعر يكون مقصوصاً إلى فوق الجبهة ويسمى القُصّة، وجزء من الشعر جهة اليمين تسبله المرأة فوق الأذن والصابر الأيمن وتسمى النِّبْعة، والجزء الأيسر يُسْبل على الأذن والصابر الأيسر وتسمى النِّبعة، وطول شعر النبعة يزيد على الفوت والبعض أطول بكثير، والجزء الأكبر من الشعر في الرأس يُسْبل على جهة الخلف إلى ما بين المناكب وفوق الظهر وتعمله المرأة سِيَن (ضفائر) مثلث وبعض شعر النساء يصل إلى أسفل الظهر ويكون مغطى بالمصَر أو العقدة المفروشه على الرأس وأعلى الظهر والجنوب[1].

وكانت أكثر الروائح أو ما يخلط للشعر من ذي الرائحة الجميلة من شجرة الهَدَس، وهو يزرع في البلد بيافع إلى وقتنا هذا، ومن الروائح

(١) الجنب: الكتف.

الشُّقُر الأبيض والأخضر والأحمر والغزاب[١] والشمال وغيره من الروائح من الأشجار.

وأما أطراف اليدات والكفوف والأصابع وأظافرهن والأقدام فكانت تصبغ بالحناء المعروف والذي هو متواجد بكل موقع باليمن، وأما إذا أرادت المرأة صبغ الأظافر باليدات والأرجل فهناك شجرة يخرج من عروقها مادة حمراء تسمى شجرة الكلبة للحناء وإنما لا يدوم الحناء حقها أياماً كثيرة والذي يستعمل من عروق الشجرة كزينة في الأظافر.

❀ ❀ ❀

(١) يقال له الأزاب، ولا أدري هل الهمزة أصلها غين أم أنها همزة أصلية، ومما يعرف به الغين من الهمزة أن الغين مفخمة بينما الهمزة مرققة، وهذه الكلمة تنطق مرققة.

مناسبات العزومة

من العادة القديمة في يافع وأكثر مناطقها العزومات العادية التي يدعو إليها صاحب العزومة أقاربه وجيرانه وعمّاله الذين اشتغلوا بتلك المناسبة التي عُمل في نهاية انجازها العزومة، فمثلا عندما يقوم الانسان ببناء دار - والسكن المعروف في يافع هو بناء دار صغير أو كبير، وكان أغلب بناء يافع لديورها بحجم دار يتكون من مفرش كبير، أسفله في جانبٍ منه يعملون خَلَّة مغلقة للسَّامان وبابها إلى المفرش، وفوق سطحها هِدَة للنوم عرضها لا يزيد على خمس أذرع ولا ينقص عن أربع أذرع وطولها كذلك مثل العرض تشبه قعادة النوم حق نفرين أو ثلاثه بنص العرض حق المفرش وبجنبها المغسال، والمفرش بما فيه من هدة ومغسال يعتبر نصف مقياس الدار وربع المقياس مسرى[1] للنوم يقدر بنصف المفرش والربع الآخر الدَّرَج حق الدار- فعند نهاية البناء أي العمارة يعمل عزومة آخر يوم تسمى تختيمة البناء ويذبح رأس بقر أو غنم على حسب قدرته.

والعزومة الأخرى عند رفع حبوب الثمار من الأوصار حق لبج الثمار (اللبيج) يعمل عزومه بعد إدخال حبوب الثمر إلى المدفن وإلى الدار، ويدعو إليها جنب العمال أقاربه وتكون العزومة أصغر من عزومة تختيمة البناء.

(١) يسمى في بعض المناطق: مجنّب.

وعزومة يعملونها عند ختان الأولاد الجدد بعد الولادة بثلاثة أيام أو سبعة أيام لأن العادة عندهم يكون الختان ثالث يوم أغلب الأطفال، وعزومة الختان تقارب عزومة ختام بناء الدار، ويذبح للختان على الولد إما رأس بقر إذا كانت لديه قدرة أو رأسين غنم لأن الرأسين تسمى بالدين عقيقة[1]، وإذا لم يذبح رأسين غنم عند الختان وذبح رأساً واحداً يبقى رأس غنم على الإنسان يذبحها حتى الطفل بنفسه عندما يكبر.

(١) وهي المشروعة.

من الأمثال اليافعية

لا تشتري شيء من اثنين، ولا تبايع ثلاثة.

كل تاجر فاجر.

لكل ظالم نهاية.

من أكل بيدّين اختنق.

من كبّر اللقمة اختنق.

تالية[١] المسافر ينقطع بلنجاد[٢].

من استفاد من بقعة خسر فيها.

جرّب اليافعي بإبرة.

من لم يفكر بالعواقب، ماله من الدهر صاحب.

من زقر بشيخين شرخوه.

لابس ثوب غيره عريان.

---

(١) تالية المسافر: آخر أمره ومصيره.

(٢) لنجاد: منطقة في حد المفلحي بينه وبين حالمين والشعيب، ولنجاد أيضاً جمع نِجْد، وهو عقبة في الطريق، والظاهر أن المقصود الأول، ولابد أن له قصّة لكن لا أدري ما هي؟.

من أكل ولم يحسب، فقر ولم يدري.

لا صاحبك الأول، لا يغرك الثاني.

من شوره البوم، مؤاه الخراب.

من تأنّى ما تمنّى.

مد رجليك على قدر الدِّفا.[١]

بيتي يا ساتر عوراتي.

لا تأمن الدهر تأوي ظبوعة[٢].

من رجم الحجر لاقدامه،[٣] ما ترجع وراه.

من رجم بيوت الناس، دقُّوا داره.

من بيده الحب والحديد، يفعل بالأرض ما يريد.

من دق القاع، ما جاع.

من كمّل حمّل.

لايشد لك من لا يسايرك.[٤]

دوّر الرفيق قبل الطريق.

ناسب الخال يأتيك الولد.

---

(١) الدّفا: الدِّثار.

(٢) لهذا المثال قصّة، قصّها علي أحد كبار السن لكنه نسي كثيراً منها.

(٣) لا قدامه: أي إلى أمامه.

(٤) لايشد لك: أي لا يشد الحمول الذي تحمله.

من عمره بالميه، ما مات بالتسعين.

واقاتل إنك مقتول.

العرق دسَّاس.

لا تشتري السمن من بياع اللّبن.

جارك القريب، ولا بن عمك البعيد.

أبعد من حبيبك، يحبك.

ما دار إلّا وتحته هدّار.(١)

لا حَلَق ابن عمك بلّل.

السائر طائر، والجالس حجر.

من تأكّد، ما تنكّد.

إذا كان الكلام من فضه، فالصمت من ذهب.

الحليم تكفيه الإشارة.

كل طويل وله طرف.

ما حبل يقصر بيد فتى.(٢)

من اعتمد على درّ غيره إجعز(٣).

من حفر حفرة وقع فيها.

---

(١) هدّار: متكلم، أي داخله بشر.

(٢) المقصود: أن الفتى يدبّر نفسه.

(٣) إجعز: أي صار مجعزاً، والمجعز هو الذي ليس لديه بقرة.

تالية لخوه[١] بني عم.

البصر خير من الشجاعة[٢].

من لم يبيّت، ما ضمد.

قومه من الماء خير من قومه ذهب.[٣]

جراده على مشفري خير من بربري.

لا كَرّاث يضحك على بَصّال.

لا مغني يغني إلا وفي قلبه أشجان.

بنّن بنانك[٤] وأنا أعرف من أبي.

طول المدى يقطع الحبل الحجر.

من طلب الزيادة جاءه النقصان.

البعرة تدل على البعير.

من قَسَمُه البرد جا له، ولو سكن اسط[٥] حمّام.

كل علّه وأبوها البرد.

البطن إن فكيتها جراب وإن عطّفتها كتاب.

---

(١) لخوة: أي الأخوة، مصيرهم كبني العم.
(٢) البَصَر: التفكُّر، والعقل، والحكمة.
(٣) قومة: قامة وهي الباع مقداره على قدر طول الإنسان.
(٤) البّنان هو تربية الأبناء، وبنانك تربيتك، كأنه مصدر بنّن.
(٥) اسط: وسط، أي من كتب عليه البرد أصابه حتى وإن سكن وسط الحمام الحار، معناه: ما كتب لك سيأتيك.

لا كثره[١] لدياك بطل السّحار.

من حقّ بن عمه ما همَّه.

الناس عند الناس، والقط يأكل الراس.

عادت حليمة، عادتها القديمة.

حبة فوق حبة وِن ذه كيلة.[٢]

قطره فوق قطره وِان ذه سيلة.[٣]

السّيل على أوّله.

من باع بارك، ومن ذبح شارك.

من نقل لك، نقل عليك.

الشاة الضارية[٤] لو تقطع أذنها.

تالية المحنِّش للحنش[٥].

حرمة مدبِّرة، خير من جربة مثمّرة.

الطب برأس الكبش، والعِلّه برأس البربري.

---

(١) لا كثره: إذا كثرت.

(٢) وِن ذه كيلة: أي تصير كيلة، وله لفظ آخر وهو: حبة فوق حبة واكتاله، أي: واكتالت.

(٣) واللفظ الآخر: قطرة فوف قطرة واستاله: أي: واستالت.

(٤) الضارية: المتعوّدة على شيء بما يشبه الإدمان.

(٥) تالية المحنِّش: مصيره ومآله، والمحنِّش هو من يربي الحنش، وهو الثعبان، أي: أنه سيلدغه.

القُرعي من القرعة.[١]

طيره طيره رجعه للأثبة.[٢]

ركَّب المشاجح والبقر بتيم.[٣]

ما مبكّر ندم.

من كثر مهداره، قلّ مقداره.

عقرب يلقص[٤] بالرأس والذنب.

لا تلقص الحيَّه إلّا إذا انبطحت.

عملنا صَعَة[٥] للمرضى شربها الصحاح.

مبرّم الشعير[٦] أصبح بالدور.

مشارطة بالوِدِن ولا مخانقة بالدّور.[٧]

اظهر واشتهر، أو بطّل واستتر.

---

(١) القرعة: شجرة الدُّباء (اليقطين)، والقرعي ثمرها.

(٢) طيره: طارت، والأثبة شجرة انظرها في فصل الأشجار.

(٣) المشاجح: مايحجز البقر عن الفرار، وتيم منطقة بردفان.

(٤) يلقص: يلدغ.

(٥) الصّعة: شراب ثخين يُطبخ من لبن وطحين، ويسمى الزَّوم.

(٦) مبرّم الشعير: الذي يصفِّيه من قشره، والدور: يقال له أيضاً الشاجبة، وهو طرف الطين تحت جدار الجربة العليا، والمعنى أن الذي يقوم بتصفية الشعير من قشره يصبح بلا فائدة لأنها شغلة متعبة.

(٧) الودن: يقال له أيضاً السّوم، وهو طرف الطين الذي يحجز الماء، والدور: مرّ في المثال السابق، والمثل كقولهم: ما أوله شرط آخره نور.

حمار راكب عليه، ولا جمل يهدر عليك.

ابتل على ثور زاحف، ولا تملّاق لصحاب.[١]

باقي جيد خير من جديد[٢].

أعور وبيتنقور.[٣]

عميا تخضِّب مجنونة.

أفسل غداء جزّع اليوم.[٤]

الطاحنة إن أنَّه قالوا مجنونة، وإن سكته قالوا قرطه الحب.[٥]

من سكت ما نشّحُوا له[٦].

قلنا لها ادخلي قامت ترقص.

قالوا أنتِ سوداء، قالت بخور العود أسود.

كل شيء وفيه بصر لا خطا ما قصر[٧].

الجار ولا جار.[٨]

---

(١) تملاق الأصحاب الاستعانة بهم بتملق، وابتل: أحرث.

(٢) أي: أن الجيل السابق أحسن من التالي.

(٣) يستقور: يتشارس.

(٤) أفسل: المقصود به هنا أقل.

(٥) الطاحنة: التي تطحن الحب بالرَّحى، وأنّه: غنّت ينطقون الغين همزة مفخّمة، ويبدلون تاء التأنيث آخر الفعل بالهاء، وقرطه: قرطت أي: أكلت.

(٦) فسَّره المؤلف بقوله: (أي ما وضعوا له فوق الأكل إدام من السّمن).

(٧) لا خطا: ما عدا.

(٨) ولا جار: وإن اعتدى وظلم.

من نصحك نجاك، ومن شجعك أرداك.

قليل مدام، ولا كثير منقطع.

ما أحلى الحرب مع المتفرِّج.

العزّ وأدفا بشملة،ولا رخيص بغالي[١].

ما نمشة عشّره[٢]، ولا تلقص سحّلة.

الحق عفيف، والباطل سخيف.

كؤزوز ولا ظلمة[٣].

قال عندي غازه، قال بن عمها المصباح.[٤]

---

(١) أي: يكون الإنسان عزيزاً بلباس متواضع، أحسن من الإنسان الرخيص المهين بلباس فاخر، وله لفظ آخر كانوا يرددونه في الطين: سر لك عزيزاً بشمله، ولا رخيصاً بسروال.

(٢) النمشة: نوع من السلاح الأبيض تشبه السيف لكنها صغيرة الحجم، وعشّره: عشّرت، والعِشَّار الضرب بالرصاص، أي أن السيف لا يضرب بالرصاص، والسحّلة لا تلدغ، وبعضهم يقول بدلاً من "ولا تلقص سحلّة" "ولا حمار استجرّ".

(٣) الكؤزوز: العود الذي بطرفه نار تضيء إضاءة خافتة جداً، والمعنى أن هذا أفضل من الظلام الدامس.

(٤) الغازة: مصباح، وهي قصعة داخلها الكيروسين الذي يسمونه غازاً تسقى منه ذبيلة يخرج أحد طرفيها بواسطة غطاء، تستخدم للإضاءة، وهي أجود من المصباح، والمصباح في يافع إناء يصنع من تراب يُصب فيه من سمن البقر تسقّى منه فتيلة، وضوءه قريب من ضوء الغازة، ولذلك سموه في المثال بن عمها.

الصيف صيدي والفتى من صيده[١].

قالت ماشي دقيق، قال اعملي لنا زوم.[٢]

صفّيت الصّبر سنة، جيت والطّعم ذاك[٣].

عذراء مديمة، وَلَا زوج اللّطيمة.

يا مفرّق المرق، أهل بيتك أحق.

مَنْ هَمْهَمْ[٤] عَمِل.

من تأكّد، ما تنكّد.

طول سلامة بعُرض بَنْتَها.

خير البر عاجله.

حِنِبت بعِجْل المرة، أما عِجْل البقرة اذبحه[٥].

جلجل وخشخاش، خليت الكبد خاش باش.[٦]

من ولِّي من عينك، ولّي من قلبك.[٧]

---

(١) الصيف صيدي أي: صيد ثمين، والفتى الممدوح من صاده، بمعنى انتهز الفرصة.

(٢) وبعضهم يعبر عن هذا المعنى بمثل آخر، وهو: قالت: ماشي نار، قال: اقلي قلوة.

(٣) أي: يظل مريراً لا يتغير، وهو بمعنى: الطبع يغلب التطبع.

(٤) همهم: اهتم.

(٥) حنب: استعصى عليه الأمر، وعِجْل المرة يريد به الابن.

(٦) الخشخاش: نبات يستخرج منه الزيت، والجلجل: السِّمْسِم والمقصود أنه طعام متعب.

(٧) ولّي: ولّى، ينطقونه بالياء، وفسره المؤلف بقوله: (من غاب من عينك غاب من قلبك).

قلب الإنسان دليله.

حاطب ليل[١].

بندق قرح ما صيب.[٢]

صوب البُعد فاتر.

ما ليل إلّا وبعده فجر.

يا فصيح لا من تصيح.

علف تحت زَرَب[٣].

الرَّبْح أفرغ من الشارح[٤].

لا حلوبة ولا جلوبة.[٥]

ولد الويل، لا رقد ولا رقَّد أهله[٦].

الحجر من الأرض، والدم من ضرسه.

---

(١) يضرب هذا المثل للذي يخلط الأمور، وهو عند المحدِّثين يطلق على الذي لا يتأكد من صحة الأحاديث فيورد الصحيح والضعيف والموضوع على حدٍّ سواء، وفسره المؤلف بقوله: (أي: يخلط الأخضر واليابس).

(٢) ما صيب: لم يصوِّب، يفرب مثلاً إذا الله من أمر ما فيه خطورة.

(٣) الزّرب: شوك كثيف، والمقصود أنه خير يحتاج إلى عناء، كقول المتنبي: ولابد دون الشهد من إبر النحل، لكن العلف لا يستحق التعب لأن قيمته قليله.

(٤) الرَّبح: القِرد، والشارح: الذي يحرس على الطين من هجوم القرود، وأفرغ: صيغة تفضيل من الفراغ، أي: أنه أكثر فراغاً من الحارس.

(٥) أي الماشية لا تحلب ولا تبتاع، بمعنى أنها لا فائدة منها.

(٦) أي: ليس مرتاحاً، ولم يريِّح أهله.

علّمناهم الشحاته،سبقونا على الأبواب.

جبل من الكحل كِمِل بالمِيل[١].

السقّاية الكسراء عجّزه صاحبها[٢].

من حبّها عذراء، صبر عليها عجوز.

ضربة بغيري سوا بالجدار.

فقر مع العزة،ولا غنى مع المذلة.

من حسد الناس، مات هماً.

أعول وهيّس، واكسب وجدّس.[٣]

من فَتَّ أول الأكل، كسّم تاليه[٤].

لا صاحبك عسل، خلّي لك وسل.

بارق لا يهلُّك، لا تخايل له مخيل[٥].

لا تغديت أو تعشيت من جربتك، لا تقول جام[٦].

---

(١) الميل: ميل المكحلة، أي أن جبل الكحل انتهى على طرف الميل الذي تكحل به العين، يضرب مثلاً للاستهلاك الذي يستهلكه الناس والمواشي.

(٢) السقّاية الكسراء: أي المتعرِّجة، وعجَّزه: عجّزت، أي: أعجزته.

(٣) اعولْ: خلِّف العيال، واكسب: اشترِ الطين، وجدّس: اهمل الطين ولا تحرثها.أي: أن الأولاد والأطيان مكسب استراتيجي.

(٤) فَتّ أول الأكل: أكله مفتوتاً بإدام، وكسّم: أكله كسوماً، أي: دون إدام، تاليه: آخره.

(٥) البارق: البرق، ولا يهلُّك: لا يصل أثره إليك، وأثره المطر، ولاتخايل: لا تلتفت إليه، وهو بمعنى: اترك ما لايعنيك.

(٦) الجام: الجربة التي لا تزرع.

ذيل الذيل مسبِّر عبره بعد السيل.

من سار على الدرب وصل[١].

قال فانوس با عشرة، قال بن عمه المصباح.

البياع ضامن، والكَسّاب آمن.[٢]

ما سقط من الشارب التقته اللّحية.

قِلّاب الحجر مَطْلع شقيّة[٣].

شُم الحجر شُمّها، البنت مثل أمها.

أوّل النار شرارة.

بين الحق والباطل أربع بنان.[٤]

من كان بالدنيا حطّاب، كان بالآخرة مشزّف[٥].

إن صاحبك مثل روحك، وإلّا فليش الصحابة.

الحديث ذو شجون.[٦]

---

(١) مأخوذ من لامية ابن الوردي:

لا تقل قد ذهبت أربابُه كل من سار على الدّرب وصل

(٢) الكسّاب: المشتري، وكانوا يعيّرون بيّاع الطين، ويمدحون كسّابها.

(٣) مطلع: إلى الجهة العليا، وشقيّة: متعبة.

(٤) علق عليه بقوله: (يقصد من العين إلى الأذن)أي: أن الرائي ليس مثل السامع.

(٥) المشزِّف: الذي يشقق الحطب.

(٦) هذا المثل من أمثال العرب المشهورة، ويضرب في الحديث يُتَذَكر به غيره، وله قصة أنقلها بتمامها من مجمع الأمثال للميداني(١/ ١٩٧_١٩٨)، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، قال: "وأول من قال =

من يدّه بيضاء، خطر بالسوق[١].

ما يحنا الحنّا إلّا من تحنّا به.[٢]

من همهم غنّى.

الخلي بالقافله آمن.[٣]

ما يدخل البحر إلّا ماهر.

ذي ما معه بن عم ناسب.

لكل عيد لبس جديد.

= هذا المثل ضَبَّة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مُضَر، وكان له ابنان يقال لأحدهما سَعْد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فَوَجَّه ابنيه في طَلَبها، فتفرقا، فوجَدَها سَعْد فردَّها، ومضى سعيد في طلبها، فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بُرْدَانِ، فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه فقتله وأخذ بُرْدَيْه، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سَوَادا قال: **أَسَعْد أم سعيد؟** فذهب قوله مثلا يضرب في النجاح والخيبة، فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حجَّ فوافى عُكَاظ، فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بُرْدَىْ ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مُخْبِرِي ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: بلى، لقيتُ غلاما وهما عليه فسألتهُ إياهما فأبى علي فقتلته وأخذتُ بُرْدَيه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: فأعْطِنِيه أنظر إليه فإني أظنه صارماً، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخَذَه من يده هَزَّهُ وقال: **الحديثُ ذو شجون**، ثم ضربه بِهِ حتى قتله فقيل له: يا ضبة أفي الشهر الحرام؟ فقال: **سَبَقَ السيف العذل**، فهو أول مَنْ سار عنه هذه الأمثال الثلاثة. قال الفرزدق

لا تـأمـنَـنَّ الـحـربَ إنَّ اسْـتِـعَـارَهـا كَـضَـبَّـةَ إذ قـال الْـحَـدِيـثُ شُـجُـونُ

(١) أي: من لم يتورط بأمر مشين لا يخاف.

(٢) أي: أن الحنّا وهو الخضاب المعروف لا يزين إلا من وضعه على يديه ورجليه.

(٣) الخلي: الذي ليس عنده حمل ولا مال، يكون آمناً وسط القافلة.

ما جمعته الحيل فرقه الفقر.

البخل يورّث القليعة[١].

لسانك حصانك.

من أكل وذم، دخل بالجذم.[٢]

من لقسه الحنش، هاب الحَبْل[٣].

من قال لك جبا، قل له ودين[٤].

الغِنى غنى النفس، والفقر فقر الدِّين[٥].

من فتح جراب استكال منه،و من كال بكاس استكال فيه.

مَنْ هو بالدار ما عليه تعذّار.

مَنْ أمِنك لا تخونه.

عشر للشيطان، ولا قرش للرحمن[٦]؟!

(١) القليعة: الذم يقال: اقلع فلان أي اتركه، وقيل أنها القنيعة، بمعنى أنه يُقْنع منه، والبخيل يقتنع بالقليل.

(٢) ذم: سب الذي أعطاه الطعام، والجذم: مرض الجُذام.

(٣) لقصه: لدغه، وهاب: خاف.

(٤) جبا: أي: خذ أو هلم، ويعرض للأشياء الطيبة، كالبخور والدعوة للطعام، و ودين كلمة تشريف تقال في جواب العرض الطيّب.

(٥) أي أن الفقير الحقيقي هو الذي عنده نقص في الدِّين والإيمان.

(٦) يقال هذا في سياق الاستفهام الاستنكاري، أي اللوم.

من الآداب اليافعية

عندما يكونون الضيوف في مجلس جالسين على الأرض والفرش موجودة يجلس الكل بآداب عربية، ولا يحق لفرد أن يمدّ رجله لتكون قدمه نحو الأفراد أو ممدودة إلى وجه الآخرين لأن ذلك يعتبر قلة اعتبار ونقص أدب ومخل بالآداب العربية وإهانة للحاضرين، وأبناء يافع يحافظون على هذه الآداب واحترام أي ضيف مهما كان نوعه.

وليس عند أبناء يافع طبقات في الناس فالحرية تسود الجميع، وكل فرد يلتزم برد السلام إذا أحد سلَّم عليه، والسلام معتبر عندهم سنة إسلامية واجب أداؤها، الصغير والكبير، ذكر وأنثى، وأبناء يافع يميلون للمَرَح، ومع ذلك عند الشعور بالإهانة أو التحقير فهم سريعي الغضب والفتك، ومن تقاليد أبناء يافع إن الموبقات والمحرمات لا توجد لديهم وهذا شيء كبير وفعله مزري وعار ما بعده عار.

من العلماء والشعراء اليافعيين

من يافع علماء كثر في كل فن وصناعة، وعلماء محدثون من أيام السلف الصالح وممن صحب الرسول ﷺ وخلفاءه الكرام مثل: عبد الله بن سعد بن الصعب، وعبد الله بن وهب، وشرحبيل بن عمر بن يافع الرعيني[١]، ومن المتأخرين: عبد الله بن أسعد اليافعي وبن شعيلة وعبد الرحمن بن حسين النقيب، ومن علماء الكتابة وكُتّاب القرآن والشكل مثل: عبدِ الله[٢] مطهر حسين عمر المفلحي، الذي له خِتَم كتبها بقلمه بكل منطقه، وتعتبر من التحف النادرة الآن، ومن الكُتّاب: أهل القديمي، وقاسم صالح من عيال يحيى، وأناس كثير في المناطق، وبن علي الحاج الموسطي، والشيخ عبد الرب الدغفلي من الذراحن في الجبل لعلي.

ولا تخلو أي صفّة[٣] من العلماء في كل منطقة، وفي كل قرية شعراء عاميين وفصحاء، واشتهر الكثير منهم، وعلى سبيل المثال من الشعراء الأميين ولكنه يعد شاعراً نابغة حسين عبيد الحداد من مشألة،

---

(١) جمع تراجم أعلام يافع الدكتور سالم عبد الرب السلفي في كتابه "معجم أعلام يافع"، وخُصِّص جزء من الموسوعة اليافعية لتراجم أعلام يافع.

(٢) هو بترقيق لفظ الجلالة، وهو في يافع اسم مستقل عن عبد الله بتفخيم لفظ الجلالة، ويكتبونه بألف بين اللام الثانية والهاء، وهو خطأ إملائي، ويوقع في خطأ كبير وهو التباسه باللات الصنم المشهور لا سيما وهم ينقطون الهاء.

(٣) صفّة: جيل.

وأشعاره مزيج من الفصحى والعامية، ومن الشعراء أيضاً يحيى بن أحمد البرق من الجبل لعلي قرية البركة، والشاعر الخالدي من القعيطي، والكهالي والحدي والمطري وثابت عوض اليهري.

قال يحيى بن أحمد ببصر الأرض بتدور
وين ما سرت ما حصلت سالي ومجبور
إن صبر خاطري باموت والقلب مقهور
وإن شكيت المواجع قالوا الناس محجور

زامل:

حيا وسهلا لاك عزه واشتراك
ما دارت الأفلاك في مر السنين
يا ضيف جي نلقاك واصدق في هراك
ما فادت الأبواك عند الجايعين

ومن الشعراء أيضاً عاطف غرامه الحداد من مشألة شاعر فصيح ولبق، قال في قصيدة له مطلعها:

أرى شعلةً من سهاد الشعب والعةً
تضيء لنوار من لمحٍ يشاعيها
كشمعةٍ ولّعت للحي ضاويةً
تفاجئ الليل يتمزّق بضاويها

من أقوال الشعراء

هذه قصيدة لإبراهيم محمد صالح القديمي لها أكثر من ٢٠٠ سنة:

بدعت بك وامنشئ السحابه ... وامنزل الماء وفرّقه مكايل
أرجوك يا الله دعوتي مجابه ... واستغفرك يا غافر الزلايل
ألطف نهار الجمع والمآبه ... في يوم خمسون ألف عام طايل
على محمدٍ واشمل الصحابه ... والآل والأصحاب والأوائل
الهاجس اقبل والأمور طابه ... ها بعد يا ذي الطير لا تعاجل
من مطرح الجُربة لها حبابه ... بني مُحُمَّد فرعة المسايل
ذي بالهواء باروتهم سحابه ... والتاهمة من عكرة الفتائل
تقدومهم ذي قد حدث صوابه ... يطرح كلمته ظبر ما يمايل
بعده عويله كمّن اعصرنابه ... من حيد عالي لا طرف مشائل
وإن سرَّح السلطان من جنابه ... فعادة الرصاص خلف داخل
كانه يفاعه لَنْوه الحرابة ... ما تسمع إلّا رجّة الزوامل
أقوام والحاسب عجي حسابه ... كثر الفرق والقوم والرجائل
أخذوا تعز ومنّه استهابه ... أرض اليمن لا حارث ابن صائل
والفجرة امسه دورُها خرابة ... وفرعة المعسال والعوابل
اعزم رسولي واترك الكآبة ... ها بعد يا طير أعبر المناقل
اعبر حمر والفجر من حجابه ... شوّح ولوّح قاعة السوائل
ولا بنا ذي لا اقبله شعابه ... مسيرة ابين مزرع الجلاجل

وشاض وأخذ بالحيود لابه وإن شفت خصمك ابترز ومايل
واجزع شعار اشرب على كريفه ذي ناس طالع به وناس نازل
واعبر رَكَبَ طماح من جنابه لا وادي املح والطريق قابل
والحقل ذي سُوْ منّه الطيابه كله جرب وافسل طرف عسايل
جرب مسانا واصغره صلابه والورد ذي سُوْ داخل الحوامل
للقزعه اطلع والشموس غابه رميانها من فوق مية راجل
لا دار عالي ذي به الرآبة سلم على بو محصنة وحاول
لابن الحريزي ذي به الرطابة خصّه سلامي كل يوم واصل
الوقت لا تضحى على الغلابة ها لكن الله يبعد الشواغل
لا هو بنك ما عاد يدعيك وابه قام آيضارب وا يهد يصامل
وأدّي دعايه مقشبة خشابة باريد قسمي وايش عادك جاعل
وأنتم مخوة رع لكم مهابة واعموميه ذي قلت بالهواجل

• زامل محمد صالح طهيف:

سلام واقع مِيْةْ قامة يرتفع
من حيف لِقْلِع ذي بتركد للسيول[1]
نسري وسافع بالهيام المرتفع
كلاً يتابع سنة الله والرسول[2]

• زامل عبدالقوي بن هادي القديمي:

القَبْيَلة من طال والا من قصر
كلاً يشكل أين عاقبة الأمور

(١) لقلع: جمع قلعة، وهي الحجارة الضخمة.
(٢) نسري: نسر، وسافع: طائر كاسر، هو الصّقر أو طائر يشبهه.

ما اليوم يافع كلها تحت الخطر
ماشي دلي من بعد مدات البحور[١]

• زامل سعيد ثابت باصهي:

يقول بادع من جبل يافع
وين المكاين وين صانعها
واليوم سوق الحرب بالضالع
جبهة قوية فكّه مدافعها

• زامل حسين سالم المردعي:

ياذي تدبر بالخفاء والسرِّيَة
المكر للأحرار ما هو شي تمام
هذه بليّة والدعيّة آبيه[٢]
لمّا تجيك الشمس يا ذي بالظلام

• زامل يحيى أحمد البرق:

يقول بادع من قبيلة أصْلِيَة
بنّا توقع ما يقع مرجم ظلام[٣]
يا مرحبا وزن الحيود العالية
يسرة ويمنة رحَّبة زين الرسام

---

(١) الدّلي: جمع دلو، والمقصود أنه لا مقارنة بين ماء الدّلو وماء البحر.
(٢) آبية: مختفية، والألف في آبية غين.
(٣) بنّا أو بنّي: تأتي في جواب قسم صريح أو مقدّر، تستخدم عندما يعزم الإنسان على عملٍ يلومه عليه غيره.

سينا صحايح على الوطن والحُرّية
وأسجال تشهد بيننا يوم الزحام
من كل مكتب والقبائل راضية
واليوم قالوا با يدقُّون المقام

❁ ❁ ❁

يقول بادع ذي حلاله بالطرف
ذي لا قرح صايح فلاهِيْ له براس
ما بَعْرف إلا ذي لقى كسر الشرف
ذي فك سبحه ما دري كيف القياس

• عاطف غرامة:

ولي أصل من حمير وقحطان لم يزل
وبلقيس أمك يا فتاة فتينيه[١]
وفاجأتني دمعة من أعيانه الرّسل
وقال السماح اخطيت يا خالص النية
خذ النحل من شانك مع الرتع والعسل
ولا ذا العسل حاضي على كل جانية[٢]
وقلت السلام عليك يا ناعس السبل
وقلبي يهني لك سلاماً وتهنية

• عاطف غرامه في مناظرة للأدباء بعدن على حرف الكاف، ذكر فيها أربعين حرفا كلها كاف[٣]:

(١) فتينية: فاتنة.
(٢) من شانك: من أجلك، وحاضي: غالي،أي خذه وإن كان غالياً.
(٣) يا ليت المؤلف فكفكها، لأنها لغز غامض، وأثبتها كما هي.

كفا كفاكم سواك في نفسك من كون تكون كم يكفيك وكفاةَ
كف كفاها كي ما كان من كلكلٍ تككرا كاكرير الكف في كبد
تحكيك مشكاتك كلة لك الكل ينفكك كربتها يا كوكبا
كان يحكي كوكب الفلك

• للحاج[1]

مادام عاد الذيب راعي للغنم
منين عاد الفيد للحالك قفاه
قصده بيأكل كلما فيها دسم
كيف الأمانة مع شر الرعاة

❁ ❁ ❁

يا راسي أبدع من هموم المجتمع
محد بيقنع بالمذابح والرؤوس
العيب والمعيوب من خس البقع
الحب ما ينفع وبه نَقْبة وسُوْس

• زامل محمد صالح طهيف في حرب٩٤ بعد الوحدة:

شهر الضحية كم وقع به تضحية
كم ناس حية ذي همميه بالجفات
كم هي جثث راس الجبال الضاحية
من حيث ماقلت ياعلى خذها وهات

❁ ❁ ❁

(١) الحاج هو المؤلف.

• هذا زامل من مفلحي حاربوا مع سعيد باشا ضد الإنجليز:

يـا زايـدة تـوبـي وأنـا بـاتـوب لـش
بـانـدخـلـش بـالـصـف بـيـن الـمـسـلـمـيـن
قـد تـابـت ابـيـن والـعـنـد والـصـومـعـة
وانـتِ وقـعـتـي دارمـوى الـمـسـفـديـن

• محمد صالح بن طهيف:

يـا حـاكـم الـحـق انـت أحـسـن مـن صـدق
تـرمـى وتـتـبـنـدق عـلـى عـيـن الـصـواب
ألّـف وفـرّق رافـع الـسـبـع الـطـبـق
لا راد يـسـحـق خـلّـي الـدنـيـا خـراب

• الحاج عبدالهادي:

واحـد أحـد سـبـحـانـه الـفـرد الـصـمـد
لا مَـنّ وأرعـد يـرعـد الـدنـيـا رعـيـد
لـه سـيـف مـجـرد حـرّك الـدنـيـا بـيـد
طـول الأبـد مـا يـحـكـم الا مـا يـريـد
كـلاً تـنـهّـد مـن بـروفـات الـبـلـد
لـمـا تـبـدد ظـلـمـة الـلـيـل الـعـنـيـد
الله يـشـهـد مـا لـنـا غـيـره سـنـد
ويـل الـذي يـرتـد مـن الـبـطـش الـشـديـد

• زوامل:

كـلا تـبـرع بـالـمـحـافـل والـبـرع
حتى تكشَّف ذي خبي تحت الرموس
لـمـا تـوزع فـيـدهـا وان ذا رجـع
خالي من الأرباح في الساحة يحوس
مـاشـي تـوقّـع كـيـف تـالـيـتـه يـقـع
وإنَّ الـثـمـر ذي كـان بـالـتـالـي مـلـوس
مـا عـاد يـسـمـع ذي تـلاهـي بـالـطـمـع
نـقـدي ومقطع كان في البيعة دسوس

• زوامل القَبْيَلَة قبل الثوره للبرق والسليماني:

سـلام مـنـي لـلـقـرون الـمـكـبـرة
بـالـطـيـب والـمـاورد ذي شـمـه يـفـوح
مـقـدار لـلـشـاعـر وذي فـي مـحـضـره
مـا حـنّ بـالـراعـد ومـا الـبـارق يـلـوح
أخـبـار يـافـع عـنـدكـم مـتـنـاظـرة
مثل الميازر ذي بتلجب بالقروح[1]
الـمـوسـطـة مـا بـيـنـهـا مـتـكـاسـرة
وأهـل الـضُـبـي بـتـخـايـل الـبـارق يـلـوح
والـمـكـتـب اتـحـقـق عـيـوبـه ظـاهـرة
وأهـل الـجـبـل لـعـلـي نـصـيـفـتـهـم طـروح

(١) الميازر: جمع ميزر، وهو نوع من البنادق.

راس العدة والوعد ماشي معذرة
والحق ما يغتام والباطل يروح
يا مرحباً وزن الشعاب الظاهرة
يسرة ويمنة سيلها ظلّي سفوح

• السليماني:

مني سلام أزيد على وادي وحد
وافي مؤكّد لا ملمَّ القريتين[1]
جينا نضُمّ اليد والحق المرد
والنار ذي تمتد ما نفهم منين

• زوامل جاءت إلى الجُربة:

سلام لك يا حيد نايف معتلى
واجب نجيبك على المخوة والكفاح
يقول بادع من بلاد اليافعي
ما نقبل استعمار ما دام السلاح

• زامل:

سلام ما الأرض المحيطة جمهره
بأيام مختارة بها رفع المسيح
بعد الإدارة باللغوم اتكسره
والنار ثاره وانفوا اصنامه بريح

• زامل:

(١) لا ملمّ: إلى ملمّ، والملمّ: المكان الذي يجتمعون فيه.

الَحبّ قد له يوم كلاً يسعره
لا تنفع الخوضة ولا كُثْر الصياح
أحزاب يافع والمصانع باهرة
كيف الصحابة ذي تجاهد بالرِّماح

• (حالمين الزامل)

واليوم ما يرضى زعيم القاهرة
الكذب ما ينفع ولا منه صبوح
لحرار عبرتهم بلد مستعمرة
ذي شلى الكافر وهم جنبه فروح
والنصر بالاسلام يا أهل الدايرة
لا فيد بالسبحة وطوّال الميوح

• وهذي الزوامل بجبهة حالمين وجبل القضاة يكلم فيها حيدرة مطلق صالح بن مسعود وعبدالله مطلق صالح ويعبِّر الشاعر عن رأيه فيها:

سلام تبلغ حيدرة لا محضره
لا شي معزّة عندهم تقبل تمام
ما اليوم جبهات العرب متكاثرة
حتى يبان اِلحلّ من بين الحرام
عهدي لعبدالله لازم تخبره
بعد المراسي ذي وقع فيها التزام

واهـل الـخـيـانـة شـف طـرقـهـم سـايـرة
بي خوف من حب الرِّيش يصبح غرام

• شعر لمحمد علي بن مجمل السليماني على حكم بعد الوحدة:

قـنّـعـت قـلـبـي وقـلـبـي مـا رضـي يـقـنـع
وايش اقنع القلب منك يا ولد دلوع
يـا طـالـع الـحـيـد وقّـف لـي مـعـك بـاطـلـع
بازور سطح الجبل لو كان ظرف أسبوع
مـن يـوم زرتـه زمـان الـعـشـر والأربـع
وان ضِفْنا اثنعش فكّر كم هو المجموع
واليوم عادوا لنا ماضي مضى وافجع
وأكبر فجيعه بنا من العَرا والجوع
لا أمـن لا عـدل لا قـانـون لا مـرجـع
ارجع على الشيخ أمّا المحكمة ممنوع
والشيخ لو جيت قد عنده عدول أربع
يقول للمجتمع بكره معي مشروع
إن جاءه المغترب يضحك ويتشجع
وإن جاءه إنسان كادح قال ذا مخدوع

• للماس الحالمي:

وحـده سـيـاسـيـه بـالـخـمـار اتـلـبـسـه
روادهـا خـمـسـه بـيـجـنـون الـذنـوب
سـارت بـنـا لـمـسـة مـشـيـنـا هـرمـسـة
لـما استوه نكسة على شعب الجنوب

سلام شيمة للقبل متلازمة
كانه سليمة للتعامل للسروق
ألأم عقيمة جنب سلطة ظالمة
والبنت يتيمة وأنكروا صوت الحقوق

• زوامل

باقول حيا وارحبوا مليون كر
ما صبّه الأمطار من بطن السحاب
الجيد له مبدأ يقف به واشتهر
وأهل المصالح يدخلو من كل باب

❁ ❁ ❁

سلام يسمع فرّقه عالمجتمع
ما البرق يلمع من قُنق وأمزان سود
قلبي تقنّع من وعود اهل الطمع
صيام لربع قد نوينا من عمود

❁ ❁ ❁

حيا ومرحب ما نفح كاذي وند
منى مؤكد للمخوة والحضور
لا هز لزيب بعدما الجاهم رعد
والسيل يدهم عالمناجة والنحور

• لبن طهيف محمد صالح:

سلام طافه كلما الشمس أشرقه
بالجو لفه واخلفه معلامها
مني إضافة ما الحروف اتراصفه
ذي بالصحافة يعرفون آسامها

• للربيعي:

سلام مترادف وبالمرسى يقف
للشامخ النايف يناطح للسحاب
يا كل عارف راجعوا منه سرف
بعد المخاوف ما يقع منه صواب

• لعامر أحمد الحالمي:

هذه حقيقة والهدف ذي تقصده
لو تطرحون القطع لي فوق الوريد
الخوف من واحد أحد ذي نعبده
من ساعة التكوين لا يوم الوعيد

• لعامر المنتصر حالمي أخرجها في حمام شرعه بعد الوحدة واليأس والسياب في البلد:

مرحب ملا شرعة وليّات اللّجم
وزن القمم واشعاب شرعة والِّلكام
يا ابن الوطن رحِّب بضيفك ذي قدم
بادر معي واسرع تسمّع للكلام

لازم نحافظ عالمبادئ والقيم
والضيف له عندي معزة واحترام
نربط على لصواب ذي تقطر بدم
المختبر مفقود وجرّاح العظام
الأب يقول الشرع بأولاده حكم
بالتربية لازم يربيهم تمام
كِنّي بشوف الأب يسمع ذي لطم
لا ذا يشجِّع ذا يلاطم من لطام
خوفي يقع ملطم سَوا وسْط النعم
ويصبح الملطوم يفكر لانتقام

• لعامر المنتصر أيضاً بحمام شرعة:

با تخبّرش يا ذي الحيود الرّاوسه
وأشعاب نصبا على الوادي نكوس
ما لي بشوفش هكذا متحمسه
هل في عواصف غيّره نور الشموس
اشتي يعود القرش فضة خالصه
وإلّا رميت القرش من بين الفلوس
وإن كان هي لحمة بجسمي خايسه
مسموح للجزّار يقطعها بموس
تشتي حجار الدار سوا متجانسه
وإلّا طرحت الفوت بعافية الرؤوس
اليوم ثوب العار ما بانلبسه
وين المدارس وين تثبيت الدروس

• هذا الشعر للوحش من قبيلة الذراحن الجبل لعلي المفلحي يافع:

يا مرحبا يملأ ربوع المنطقه
من كل حاره شرفونا بالوصول
حمام شرعة للسياحة مطلقه
محّد يقول انّه كما يشتي يقول
حسب العوايد لوّله والمسبقه
وإن شي قضية حكّموها للعقول
ما لي وله أهل الحرش والَّلقلقه
وإلّا حكومة طرّفه أهل الفضول
ليسر وليمن للقلوب الضايقه
والكبرة انزاده بذي كانوا فسول
مال الخزينة مَنْ ملكها يسرقه
لما تعوّد كل واحد عالشلول
ما شي فوائد من تمدّاح اللغه
قد هي لغتنا واضحة بعد الرسول
والمذهب الخامس شروطه حارقه
كلاً يحاسب قبل ما تصبح سبول

وإليك أخي القارئ نوعاً من الشعر الذي عبّر فيه صاحبه عن قدرة الله وحكمته بالمخلوقات وخاصة الماء الذي قال الله فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وشاعر هذه الأبيات هو

حسين عبيد الحدّاد[١] من مشألة التي هي ثلث مكتب المفلحي، وإليك هذه الأبيات قال:

نبدأ برب الملا والملك من قدرته
من قدرة الله مبعوثه جميعاً بما
كلاً بدي من حياة الماء ومن ظهرته
والله لمّا الماء ظهر كانت عما يا عما
والثاني النار ذي بالقلب من حرقته
والله لمّا الماء لا بارد ولا شيء حما
والثالثه بالهواء به كل شيء خطرته
لمّا الهواء كان لا طائر بها خيّما
والرابع الترب كل عيش من عيشته
والله لما الترب ما كان اجتمع آدما
والفين صلوا على المختار وأصحابته
صلاة ما يقرأ القارئ وما ختّما
ذي حبّه الله وَدَن الشهر لا حجرته
زاره وهو ليلة اثنعشر عرج للسّما

(١) حسين بن عبيد الحدَّاد شاعر مبدع لكن في عقيدته انحراف كبير ظهر في شعره بوضوح فقد عَرِف أنه من أصحاب الوحدة الوجود، وهذا الاعتقاد قد سار في مناطق يافع من الفترة المتأخرة جلبه إليها رجل منحرف يقال له حسن باهارون. وكان الذي أعانه هو الجهل والأمية، فقد اطلعت على بعض مخطوطاته، فلا تروج تلك المخطوطات إلا في بنية أميّة، ومن أمثلة ذلك أن كان يعمد إلى قصائد مشهورة في التراث العربي فينسبها لنفسه والمساكين يصدقونه، وفي تلك المخطوطات انحراف كبير جدًا ويا ليت أن أحد الباحثين المهتمين بدراسة التراث اليافعي يدرس تلك الشخصية وأثرها السئ.

شرقي وغربي وبحرياً ولا قبلته
أقصى وأدنى سَرِيها طين بارد لما
لمّا شفع للجمل وأفتك من خلقته
فك الغزالة وكان قيدها مُبهما
عما عما يا عما من جَسْ في ظلمته
ما يبصر الضوء من قلبه غشيم أظلما
يا ناس من ما عرف بالحق يا محنته
ما له درى كيف ذا ينطق طلق وأعجما
بالحق تكلّم وجابه ذي سمع كلمته
خلف الحُجب صوت له هرجه وهي ترجما
من السعادة سرى لما وصل جنته
حب الرياضة في قصر الجنة اتنعما
لا به خواطر ولا حاقد على نعمته
جاري وصامت وحياً ما بيتكلّما
لا سمع عنده ولا شيئاً رأى نظرته
ولا مهمة ولا ساهر ولا نائما
عنده صرافة لما حتى عزم نشرته
قَاله مُلوك السماء حيّا به القيّما
قيوم قاموا به أهل العرش في قامته
ولبّسُوه الكساء بالسُّنَّة أتعمّما
كل النباتات كذا من فكره حكمته
وما نبت مات وأثماره فلا تهدما

• من شعر المؤلف في بداية السبعينات بعد ٦٩ ميلادي:

سلام يتقسم سهوم أربع ميه
فرض التحيه خُصّ به شيبه وشاب
علم البرية من تخبّر ما هيه
مابع صفيه عاده الصايح مجاب
محد خطبها بنت بيضاء سامية
لا هي غلّيه لبسها سبعين ثوب
رخيص من مالها عليها فادية
وإلا بنفسه يفتدي يهنى وطاب
أصل البُنيّة من عرب في البادية
من قوم حمير ما بيحنون الرِّقاب
المجد فيهم والشهامة عالية
اسأل عليهم ذي يقرّون الكتاب
يقول بادع يا الشباب العارفة
لا حد يفكر إنها الدنيا سياب
ما عذر من لرياح تاتي عاصفة
والرمل يتطاير ولا هز الضباب
يا ذي سكنتم في قرى متقاربة
ردّوا وقولوا لا حدا يشتي جواب
من قبل عشنا في الحياة الخايفة
واليوم أخوة بعد ثورتنا صحاب

سلام يتقسم ويبلغ للمراد
سنه ومعتاد للذي حب السلام
تاهم من الأفجاج دخانه سواد
واصطابه الأفراد بعده بالزكام

• هذا نشيد أخرجته أيام الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني لجنوب اليمن وفي أعوام كفاح المناضلين لتحرير الجنوب بقيادة الجبهة القومية من عام ٦٣م إلى ٦٧م:

بلادي بلادي أنت نبض دمي والفؤاد
أنت فخري أنت عزي أنت نظمي والنشيد
من أجل حبك حاربت كل لعداء
وبذلت دمي وروحي لك يا وطني فداء
لتعلو سماك راية الحرية
وشعبي بيهنى بها للأبد
بلادي بلادي أنت نبض دمي والفواد
أنت فخري أنت عزي أنت نظمي والنشيد
حاربت لعداء بكل البقاع
ورن سلاحي على الغاصبِ
ومن مدفعي أصب الغضب
على أعداء أرضي وعلى الأجنبي
واهتف أنا عربي يمني أبي
ومن نسل قحطان بن يعربِ

بـلادي بـلادي أنـت نـبـض دمـي والـفـواد
أنت فخري أنت عزي أنت نظمي والنشيد
هــتــفــت هــتــافــي أنــا عــربــي
ومــن أرض حــمــيــر ومــن مــأربِ
فــلــن أحــمــل الــذل فــي مــوطــنــي
ولــن أرتــضــى نــقــمــة الــغــاصــبِ
بـلادي بـلادي أنـت نـبـض دمـي والـفـواد
أنت فخري أنت عزي أنت نظمي والنشيد
بــأي وجــه يــجــيــنــي الــدخــيــل
فــقــد رام ذلــي عــلــى تــربــتــي
حــــرّرت أرضــــي أنــــا بــــدمــــي
لــتــبــقــى عــزيــزة إلــى الأبــدِ
بـلادي بـلادي أنـت نـبـض دمـي والـفـواد
أنت فخري أنت عزي أنت نظمي والنشيد

• وهذه الأبيات من شعر المؤلف:

ما واجبك بعدها تجحد وتنكر أصاله
لا ينفع المال ولا فخرك بفعل الكبائر
لا تصدّق أن الطبيعة صانعة لستحالة
خليك مؤمن قوي بالله تلقى البشائر
شافي وكافي ذي خلق كل شيء من سلاله
احذر مبادئ فاسدة تغزي العشائر

لا تصدِّق عميل الغرب ذي عُرف بالعماله
باعوا ضمائرهم وساروا بعد كل كافر
من يخون الوطن كيف العز بالله يناله
لا يغرك عمل تايه من كان ساير
في متاهات ظلما لاحقة في خياله
قد غره الشيطان عايش وحائر

• زوامل شعر للحاج عبدالهادي محمد من نهاية الثمانينات إلى خمسة وتسعين:

هل تسألوا ماذا تحقق بأرضنا
لمّا يئسنا بالوعود الكاذبة
شوفوا المناطق ما تقاسي من عنا
وإلا الجماهير ماهي قائلة
ما نرتضي مسؤول يحكي عننا
تكفي جراحه بالسنين السابقة
وإن حد غبي وإلّا تجاهل رأينا
الشعب يبرأ من سلوك النابرة

• حرف آخر:

كلا تنهد من بروفات البلد
لما تبدد ظلمة الليل العتيد
الله يشهد ما لنا غيره سند
ويل الذي يرتد من البطش الشديد

الكذب عمّد خلي الثعلب أسد
واليوم جنّد وارتفع للذيب سيد
ما طاب مرقد والفتى يحمل نكد
والصبر ينفذ وانفجر بعد النهيد
قولو لذي يحقد كفى للصبر حد
رحنا بنتجمد وهم يطلع عميد
العدل كلاً ند للآخر سند
لا تفرقة توجد بالعدل السديد
الدين ذي وحّد على الحق استند
والله يشهد على المخالف والعنيد
كان الأمل للشعب من جدّ وجد
وأنه أجاء الحاكم يسرق ما يريد
التفرقة زاده وزادوا بالكمد
المؤتمر سادة والآخر عبيد
وإن كان اصلاحي مَن حصّل سرد
من لم يكن منهم قالوا ذا عنيد
يا غارة الله للمواطن كم حمد
يتحمل الأتعاب والجور الشديد
يا رب دمّر من تجاوز كل حد
أو سبّب الآلام للطفل الوليد
سرقة ورشوة عند أبو مزيد أكد
من دونها ترتمي مالك رصيد

• ترحيب بمسؤولين من صنعاء:

حيا وسهلا لاك عزة واشتراك
ما دارت الأفلاك في مر السنين
يا ضيف جي نلقاك واصدق في هراك
ما فادت الأبواك عند الجائعين
زاد الغلا في القوت زادوه الخرد
ياضرب للعامل بظهره ياجليد
صفّين ذي شلوا على الشعب الجرد
دقو عظامه دق من كثر السريد
تاجر سياسة زوّر المحكى ورد
وآخر مورّد للبضاعة والحديد
وكل مسؤول يبحث على العدد
لا حصّل الرشوة ينفذ ما يريد
هذه سجية للشمالي معتمد
لذي مرفق معه رتبة عميد

• حرف آخر:

عدن توارت بالحجاب لا شارقيها باثغاب
لما تقع تحت التراب من بعد كابوس العفن
هذا الهدف منهم رسم تدميرها حتى فقم
كذب التقدم بايتم انهب وشل لك من عدن
بعد الصراع المفتعل صرح ووضح في عجل

يرجع عدن ريف الجبل ولا اغتصبنا للسكن
ذي ما بيعرف أو دري نفذ لحقده واهتري
من حيف رام الأحمري قد باعها بأرخص ثمن

خانوا وباعوا أرضهم افتوا وباحوا دمهم
كيف نصدق قولهم جابوا المتاعب والمحن

لما استهانوا بالجنوب ثمن الخيانه بالجيوب
بيعت متنى والنقوب ليام تكشف والزمن

محد من الوحده منع الشعب رحب واستمع
خانوا بها أهل الطمع ذي ياكلوا لحم السمن

من لحج شلوا كل شيء حتى الطناجر والقشى
لما تعز لا تختشي يسرق وحملها وحن

يا نداء الضمير أصرخ لكل انسان عاقل
لا وجد من ينكر أو يحب العدالة
الأمم تايهة والظلم والحرب حاصل
والمخافات زاده والشقاء والعطالة
كم شكاوي بترفع للأمم والمحافل
مجلس الأمن كاذب لا تصدق مقاله
كم نداءات كم شكوى برمي القنابل
والعرب يرتجون الحق من ذى أزاله

ويلكم يا العرب الخوف والذل قاتل
طالما القادة لكم يرتضون الفسالة
كلما قالت امريكا رضوا به وكامل
من رفض منهم أمراً تبدل بداله
أموالهم بالبنوك الغربيه مال طائل
ربحها سار لسرائيل بصورة جمالة
جائزتها لتقتل أو تدمر منازل
بارض لبنان والقدس وما هو قباله
فكروا يا العرب ايش السبب ايش حاصل
ليش بعنا كرامتنا وخذنا العمالة
بعد ذاك المجد لول والحرية للأوائل
نرتضي بالمهانة والمسكنة والذلالة
يا شعوب العرب يا كل حرٍّ مناضل
وين الشجاعة بكم نابعة والأصالة
ليت ما كانوا حكامكم والملوك الهزائل
موتكم سهل مادام تبقى الأهالة
لأجلهن يذبحوكم ما يبو فيهن بدائل
واين خيراتكم وأموال العرب أين جاله
في بنوك لمريكان وانجلترا للتبادل
والعرب بالملاهي كل من شل ماله
لا يهزم الخصم بالتنديد والجد عاطل
أو تحرر بلدنا باستجداء عطو الزمالة

لا تعود الأرض والتفرقة شر حائل
والعرب بالشتائم ينشلوها نشالة
ضيعوا مجدهم والدين فيه الفضائل
والمواطن ضحية محتار مما قباله
مَنْ أَمِن خان والمحتال غيره محاول
والمحقّ صار محروم ما سمع شي مقاله
مثل ذي الحال يا ويل العرب من زلازل
بايعيشون بالذل والثوب تحرق ذباله
ذا عميل الغرب وآخر مع الشرق مايل
أذناب وأتباع أفكارهم بالجهالة

التقاليد والعادات لقيام الأسواق

لقد تناقلت الأخبار والوصايا السابقة طبقة عن طبقة من كبار السن من الأولين عن التجارة والبيع والشراء ومقراتها وأسواقها، وقالوا أنها كانت قديماً أسواق محددة ومعلومة في المناطق بيافع وما جاورها من البلدان: ردفان وبلاد الحالمي والشعيب والشّعار وبلاد الأمير والأزارق وبلاد الرصّاص شرقاً والفضلي والعوذلي جنوبا ليافع.

وتناقلت الوصايا والأخبار عن أسواق قديمة جداً قبل مئات السنين ويؤكد ذلك أسماء المواقع والمحلات التي قامت فيها تلك الأسواق حينها، ونذكر منها أسماء مثل: سوق عامر عبدالوهاب الذي يعرف برها، والمحصن بالنجاد شمال بلاد المفلحي بين حدود المفلحي والمسلمي، والمسلمي تابع للمفلحي محادد الشعيب وبلاد حالمين، ولا زالت آثار البنايات موجودة إلى الآن برها والمحصن تدل على ذلك ونوعية الموقع، وسُمي بسوق عامر حسب الأخبار تسمية بعامر عبدالوهاب أحد حكام اليمن في ذاك الوقت في تلك المناطق وغيرها، كما يذكرون أن عامر عبدالوهاب له باع كبير في العمل على إصلاح الطرقات والنُّقْوَل[1] لمرور الحمول على الجمال وكذا الحمير وغيرها، والنُّقْوَل لا زالت باقية بعضها تامّ والبعض مندثر، بعضها وبعضها غيّرت

(١) النّقْوَل: جمع نقيل وهو طرق ملتوية في جبل كبير ينقل من منطقة منخفضة إلى أخرى مرتفعة، ويسمى أيضاً رهوة.

وأهملت.

ومن النُّقْوَل: نقيل سيت المعدي في حالمين، ونقيل السمرا أعلى شرعة، ونقيل الصدر ونقيل الصدارة بين النجاد ويسرى حالمين، ونقيل الجِرْبة بكسر الجيم، ونقول حمر بالمفلحي، ونقيل المعزوب، ونقيل الجيزة عقبة الشيحط، ونقيل الفُقر تحت رهوة حمر ونقيل شعب المنقل غربي الجُربة، ونقيل بني بكر من الحد ونقيل الصدر المنحدر من مجنّة[١] لعقاد لبعوس، ونقيل عمران قرب لكعوب بالموسطة، ونقيل الطفّ الطالع من رهوة الخلاء، ونقيل الخلاء الطالع من أعلى يَهَر، ونقيل السرّة الطالع إلى جبل اليزيدي من الخلاء، ونقيل الذَّراحن الطالع من شَيْهَج، ونقيل ذبوب، ونقيل حَبَة الحضارم، ونقيل العرّ الطالع من مرفد الشرقي والغربي، ونقيل المحجبة ونقيل عكد اليزيدي النازل إلى حمومة، ونقيل ذي عسيم إلى رصد، ونقيل سرار[٢] إلى حطاط وحبيل برق جهة أبين.[٣]

(١) المجنّة: المقبرة.

(٢) هو نقيل فلاحة.

(٣) ومن النقول: نقيل جار يربط السعدي برصد، ونقيل رهوة بن علي، يربط ضبه برصد، ورهوة بن علي ورهوة المنقل في جبل موفجة في كَلَد.

الأسواق وتبديلها بأخرى

وبعد هذه الأسواق القديمة والطرق المؤدية إلى كل منطقة حددت أسواق بعد تلك الفترة القديمة بالحد ليافع والبيضاء مكتب الرصّاص، وسوق السلام لبعوس، وكان سابقاً سوق بالصيرة واستبدل بسوق أربعتعشر أكتوبر قُدّام لقْمَر، وسوق الأربعاء بالمفلحي بالقُرّاعي، وسوق بيهر والحبيلين وأيضاً بالضالع.

وكانت تجلب إليها الحبوب من كل الأصناف من منتوجات وزراعة البلد من كل المناطق القريبة والبعيدة، وأيضاً الملابس من كل نوع: الصُّوف وغير الصُّوف المصنوعة بمناطق يافع وغيرها باليمن، مثل الثياب البيحان والبراكيل والسباعيات من الحديدة والعقيد للنساء والشبّيك والمعاجر واللّحافات والمعاوز ولجرام الجلدية والحبال الصوف من شعر الغنم والخزف من السِّلق فرشات المساكن وغيرها والحبال العزف والزحيج وفرشات الصوف: الأبجدة والفرايق والخطط من الجلود أدفية أبو نفرين مدبوغة،[١] وأيضاً المعادن من النحاس وغيره، وأدوات الطباخة المصنوعة من الطين في يافع وغير يافع مثل الأزيار التي كانت تسمى بالأدواح والقشاو للطباخة والمقاهر للمرق ولمدار ولحِشية[٢] لحمّاء السمن والجِبان للقهوة والغلايات النحاس

(١) مر تعريفها في فصل الأثاث.
(٢) مفردها حِشوي، وبقية الأدوات سبق بيانها.

وأسواج الطباخة والمساخن من التراب والقُوَب للقهوة من الخشب من شجرة القِطِف أو الطِّنب أو التّيلق. والرَّباعي (المكاييل) أبو اثنعشر صيني أبو شهر وستعشر صيني وثمانية عشر صيني وتسمى الرابعة والربعي والثمين، وكانت تجلب إلى الأسواق تلك، وأيضاً أعواد الأهياج من العود الذي يكون فوق رقاب الأثوار عند البتلة لعمل المزارع والنبال والمشاحط والذرآت والسحوب الحديد وعيدان لدجار وعجل السناءات لإخراج الماء من الآبار والغروب لحمل الماء للشرب وعيدان الغريب والمشاريق ولِضرْعِة المصنوعة من الجلد (حبل كثيف) والكرائب المصنوعة من الزحيج، والحبال، ولعراك المصنوعة من الجلود، والصِّرار والجلاعيب المصنوعة من جلود البقر، والزعب والأُفر ولمساب ولجزال[1] المصنوعة من جلود الغنم، والكريع للماء وللسمن والعسل سابقاً.

ويجلب إلى تلك الأسواق أنواع الأسلحة القديمة التي كانت تستعمل حينذاك مثل البنادق العربية ومعباتهن والفتائل حقهن والعدد حق مقياس الباروت والمذاخر والبنادق الفرنساوي والريافل الطويل والقصير أبو مَسْكة وأبو مَسْكتين، وبنادق الهروت وذخيرة كل نوع وبنادق الصُّوبة وأبو حبة ثم بعدهن بنادق انجليزي أبو قفش وخشبي وكنيد والنواظير ثم بعد ذلك البنادق المريكاني أبو قصبتين أتوماتيك رشاش وناظور مريكاني وذخيرتهن.

---

(١) الأُفَر: جمع أُفْرة، والمساب: جمع مَسَب، والجزال: يقال لها أيضاً المجازل جمع مجزل، أكبرها المسب وأصغرها المجزل، والأفرة بينهما، وما سبق من أثاث قد تقدم تعريفه.

وأيضاً البنادق الألمان زاكي كرام وجرمل طويل وبَلْخي ولا زالت إلى الآن موجودة، وفي الآونة الأخيرة من الستينات إلى الآن تتبادل وبكثرة الأسلحة الروسية مثل الآلي أبو عطفة وأبو كرسي وشيكي وصيني ومسدسات من كل نوع، والذخائر.

ويجلب إلى الأسواق سابقاً من منتوجات البلد من الخضروات المحلية مثل البصل والبصّيلة والثوم والكراث والبقل والبَلَس المنوّع والتين والقرع (الدُّبّاء) والحبحب والعِنَب وهوقليل جداً والموز البلدي والعَنْب والبطاط والبطيط البلدي وأيضاً البلس الأسود والأحمر للإدام والدُّجر المنوع الذي هو بمثابة الفاصولية والكُشْد البلدي والبيهني والِّليم الحامض وأشياء أخرى كثيرة.

وكانت تجلب إلى تلك الأسواق القديمة أنواع السلاح الأبيض (الجنابي اليافعية المشهورة بالجودة) وجنابي أبناء يافع من أشهر الجنابي باليمن مثل جنابي الصّيفان[١] وهن أغلى الجنابي وأجملهن ثم جنابي الزُّراف[٢] الحمراء اللّب والزراف العادي وجنابي المزرع[٣] فيها المسامير الصغيرة والبهيص والجودر والقرن[٤] وسن السمك والمعدن وأنواع أخرى من الجنابي، هذه متواجدة إلى حد التاريخ، ثم السيوف الملبسة بالذهب والفضة المشهورة والنمش[٥] والسكاكين والشِّفار[٦]

---

(١) الصَّيفان: تصنع من قرن وحيد القرن.
(٢) الزُّراف: بضم الزاي، ويبدو أنها تصنع من قرن الزّرافة.
(٣) المزرع: تصنع من قرن الوعل، وبعضهم يقدّمها على الزُّراف.
(٤) تصنع من قرون الحيوانات، وأشهرها الجاموس.
(٥) النمش: جمع نمشة، وهي تشبه السيف.
(٦) جمع شَفْرة.

وأمقاص من الحديد، كل ذلك كان صنع اليمن سابقاً وكلما يطلبه الإنسان ويحتاج إليه في ذلك الزمن من صنع البلد واعتماد ذاتي على الأشياء المحلية، مما جعل أبناء يافع يمتازون بالحرية والشجاعة وعدم القبول للتبعية والذل والاستكانة للغير.

ومما كان يوجد في تلك الأسواق من صنع البلد البعض منها بكثرة والبعض بالقلّة مثل: التمر وقصب السكر والخشخاش والجلجل (السمسم) الزيت لدهن الأكل، والعتر والخردل لدهن الأعصاب والأرجل والجلود، وكان شجر النبشع يخرج منه الزيت للسراج، وأيضاً يتواجد السمن والعسل البلدي بكثرة واللحوم البلدي من جميع الحيوانات الحلال: الجمال والبقر والمعز والضان والدجاج والصيد والظبي والأرانب والعُقَب[١] والوَبْر[٢] والبط والجرع.

وكان سابقاً كل الأخشاب من البلد كلها من العلوب والأثْل والطِّنب والتيلق[٣] وكل متطلبات السكن والحطب والسّود[٤]، والعزم قوي لدى الإنسان اليافعي، والعمارات الشاهقة الرفيعة والقديمة المتواجدة في كل مناطق يافع أكبر شاهد على قوة الإنسان اليافعي، ومنها ناطحات السحاب منها ما عمرها ما يقارب ألف عام، والسدود والمواجل شاهدة والمنارات والمساجد والنُّوَب[٥] وغير ذلك من الأعمال.

---

(١) العُقَب: جمع عُقَبَة، وهي طائر بحجم الدجاجة لكنه يفرّ من الإنسان.
(٢) الوبْر: حيوان بري، بحجم القِطّ.
(٣) كل أسماء الأشجار تقدّمت في فصل خاص بها.
(٤) السّود: الفحم.
(٥) النُّوب: جمع نوبة، وهي بناء مدوَّر مكون من طابقين غالباً، وقد تزيد، يبنى خصيصاً للحراسة.

من الأخلاق الحميدة

ولقبائل يافع في عموم مناطق يافع العليا والسفلى والحد وما جاورها عادات، سواء في المناطق العليا وهي التي تمتد من الحد قرب ذي ناعم بلواء البيضاء شرقاً وجنوباً وأهل سعيد شمالاً على امتداد يافع العليا، الحد جميعاً ومكتب الحضارم ومكتب البعسي ومكتب الضبي ومكتب الموسطي ومكتب المفلحي المحادد لردفان والعسكرية وما خلف سيلة وطن إلى بير العروس من العسكرية من بنا محادد ردفان وحالمين غرب، وشمال ما خلف بنا إلى النِّجاد إلى أسفل حطيب ذلك يافع العليا، ويافع السفلى مكتب الناخبي من الماجل السيلة البيضاء ومكتب اليزيدي ومكتب اليهري ومكتب السعدي ومكتب الكلدي إلى يافع أبين الساحل.

هذه يافع العليا والسفلى يحاددها غرباً قبائل ردفان، وشمال غربي حالمين، وشمال الوسط بلاد بني مسلّم المفلحي، وشمال شرق أهل سعيد، وشمال شرقي الحميقاني، وشرق جنوب الرصّاص، وشرق شمال الرصّاص وبن علي منصر، وجنوب شرق العوذلي، والجنوب الفضلي، ويمتد يافع إلى ساحل أبين إلى الجسر القريب من زنجبار.

ولكل هذه القبائل المذكورة أعلاه وقبائل أخرى عادات لا تزال تحتفظ فيها كالصفات العربية الأصيلة والرجولة والكرم والصراحة وحماية المستجير وإعانة طالب العون والدفاع عن المستجير بكل

غالي، والمرأة سابقاً لم تكن ترتدي الحجاب الشرعي الكامل خاصة في فترة لا تتعدى المئة والخمسين السنة من هذا التاريخ،[١] ورغم ذلك فإن المرأة عادت للحجاب الآن، ولكنها قبل ذلك الحجاب كانت تحيط نفسها بحجاب العزة وحفظ الكرامة والتحلي بالأدب والشيمة والابتعاد عن كل جريمة لأن القبائل لا تعرف العمل المشين، فالمرأة بيافع قوية البنية شريكة في العمل مع الرجل تحمل العفّة والإباء على شرفها وكرامتها فالنزاهة والعفة عند المرأة اليافعية صفة تعتز بها، ويشاركن الرجال في المزارع والفلاحة في الأرض وزراعتها وتقوم بأعباء التربية للأسرة، وأحياناً كانت المرأة اليافعية - عند الضرورة والمحن والدفاع عن الكرامة والدم والمال- تحمل السلاح وتتقن استعماله والعمل به.

ومن عادات أبناء يافع سواء الرجل أو المرأة يستقبلون الضيف باحترام وكرم وأخلاق عالية لتقديم الطعام والقهوة اليافعية المشهورة من بُن يافع المشهور عالمياً بجودته، يستقبلونه استقبال احترام في منتهى الكرم مما لا يتصوره العقل، وبالرغم من اهمال هذه الصفات الآن بعد اختلاط الحابل بالنابل ودخول العمال من مناطق بعيدة من مناطق شمال اليمن.

ومن العادات بيافع أن المرأة تخضع للرجل ويعتبر المسؤول الأول وصاحب الكلمة المسموعة، والمرأة لا تطلب الطلاق إلا عند وجود الأسباب الشرعية التي تمنحها طلب ذلك والتي لا ترى معها أمل في استمرار الحياة والسعادة، والمرأة المطلقة الأمر بيدها بعد إذا رغبت

(١) ابتدأ المؤلف هذا الكتاب عام ١٩٨٩م واستمر حتى ١٩٩٧م ١٤١٨هـ

بالزواج.

وبين أبناء يافع حب توطيد الصلات ويقولون بالمثل: "من ما معه بن عم ناسب" وكل فرد ينتمي إلى أسرة هم أبناء عمومته وقبيلته، ويرتبط الجميع بالروابط والتقاليد والعادات التي تحكم التصرفات، ومن العادات بيافع أن الرجال هم الذين يعولون الأسر إلا إذا عدم العائل من الرجال فالأم تقوم بواجب الأسرة وجميع أبناء المدينة أوالقرية يمدُّون لها المساعدة، والأولاد هم الذين يتحملون واجب طلبات الآباء والأمهات حتى ولو انفردوا.

وفي أي منطقة في الأرياف بيافع أو غيره من المناطق المجاورة ليافع تترحل فيها وتروح إليها فإنك تُدعى للقهوة، وعندما يقوم المضيف لضيفه ويناوله الأكل أو الشرب باليمين ويطوف المضيف بالقهوة على جميع الضيوف الأيمن فالأيمن إلى آخر واحد من الضيوف.

والقهوة تُشرب بدون سكر ويعمل عليها الهيل والزنجبيل أحياناً، واعلم أن أغلب قوت مناطق يافع سابقاً الذرة البيضاء المسماة بالذرة وهي عدة أنواع: الذرة العرمي وهو أجود أنواع الذرة وسنبله يشبه فم الجمل، والظاهري وسنبله مبروم مدور له زقم قصير، والرباع والنفَّاش والمسرِّعة والصيفي والغاربة البيضاء والحمراء والغاربة البُنّي والثلاثي والسنيسل والدخن والذرة الكبير (الشام) وأنواع أخرى، والبر: السمراء والميسان والعلس وغيرهامن أنواع القمح، والشعير، كل ذلك يزرع في يافع، وفي السنين الأخيرة قلّت زراعة القمح بيافع بسبب قلة المياه وجلب القمح الخارجي من التجار.

وأحياناً الإنسان المضيف إذا كانوا الضيوف أقل من العشرة يقدّم اللحم في صحن للجميع، وإذا كانت ضيافة زواج أو ضيافة كبيرة والناس كثير قسّم اللحم لليد، يعطي كل واحد لحمته ومطيبة[١] مرق بالتساوي بين الضيوف، ويتناولون الطعام دائماً في أدب واحترام، وتناول الأكل باليمين يعتبرون ذلك واجباً شرعياً وأدباً إسلامياً يجب المحافظة عليه، ونهاية الضيافة يكون واحد من الأفراد المضيفين حاملاً إناء ماء حار لغسل الأيدي أو وضعه خارج باب المحل الذي يأكل فيه الضيوف، والانتباه شديد لتقديم كل ما يشار إليه باشارة طفيفه لما يريد.

(١) المطيبة: وعاء للشرب.

من التقاليد والعادات الحميدة في يافع

إن من أجمل العادات والتقاليد التي يمتاز بها أهل يافع سابقاً وكان يعمل بها عند سكان المناطق في يافع بشكل عام وما جاورها من المناطق تلك العادات الفاضلة بالحفاظ على تقارب الأسر وتعاونها، ووحدة الكلمة والتعاون إذا ما أصيب أي فرد بكارثة أو جائحة في ماله أو مزارعه أو متجره فإنهم يقدمون له المساعدة والعون ويشاركونه المأساة ويتحمّلوا معه من الخسارة التي سببتها الكارثة وتتعاون القبائل والأقارب التي هو منها والقبائل المجاورة للمساعدة بذلك.

ومن العادات الحميدة أن أبناء القبائل كانوا يمتازون بالغيرة والشهامة والدفاع عن العِرض والكرامة والعزة، وكان من شهامتهم أنه إذا صدر من أي رجل قتل خطأ بطريقة غير مقصودة أو متعمدة أو بدون معرفة تجد أبناء القبائل وأصحاب العرف في القبائل يسرعون مجموعة إلى أصحاب المصاب بالقتل، ويأتونهم الناس من أبناء المناطق والقاتل وأقاربه ويدفرونهم برأس بقر أو ترافقهم عذل، ويروحون إلى باب سدة المقتول ويقولون: أتينا إليكم وإلى داركم بقارح البنادق وأوجاهنا وعذلنا إلى ساحتكم للذّبح أو الرجاء، فأنتم الحكم وهذا القاتل غير متعمِّد أو قاصد وحصل ما حصل والخطأ قدّره الله، ويقول القاتل: أنا بين أيديكم اذبحوا أو ترجّوا، وعندما يكون هذا الشيء يخرج أهالي المقتول ويرحّبون ويقولون: من دفر ساحك كسر عاقك،

أهلاً بكم والمقدور كان وكل الأبناء أبناؤنا أنتم دفرتم إلينا والاعتراف فضيلة فأنتم بذلك مسموحون مما جرى ووجه الله أبقى، ويكتبون للقاتل وثيقة السماح ويوقع عليها أهالي المقتول ومالك أمره: أبوه أو أخوه أو جده أو من يقرب إليه، ويضعون الوثيقة فوق رأس القاتل، ويلبّسون العذل ثوباً جديداً من عندهم، ويعود الجميع تغمرهم الفرحة، وإذا طلب أهالي المقتول الدية بعد الدفرة إلى عندهم أسقطوا من الدية الثلث أو الربع بالدفرة والربع بالعذل، واحترام الحضور وتدفع دية معتدلة، أو يطلبون الدية ويمنعون الدفرة بالوصول إليهم، وأهل القبيلة يتقاسمون الدية على الجميع وطلب الدية في القتل الخطأ نادراً من يطلب فيه الدية وإنما الدفرات والسماح، وقد حدثت الدفرة والسماح في مناطق كثيرة سواء من القريب أو البعيد، وأبناء يافع يشتهرون بذلك وبالكرم والشهامة والتسامح.

وهذه نقل سجل في سماحية قتل بنص الأصل:

الحمد لله العلي في ارتفاعه، القوي في جبروته، العادل في حكمه، اللطيف في ستره، الرحيم في خلقه، الباسط أرضه، والمطاع أمره، الصادق في وعده، المعبود وحده، أرسل رسله، وأنزل كتبه، وأنعم على عبده، وأكمل دينه، يجيب من دعاه، ويسمع من ناداه، نِعَمُه على عباده غزيرة، وفضائله عليهم كثيرة، ناصر المؤمنين، ومنصف المظلومين، ومشبع الجائعين، وكاشف كرب المكروبين، ومفرِّج هموم المهمومين، عالم السرائر، ومشفي الضرائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده القائل ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورىٰ: ٤٠] وقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التّغَابُن: ١٤] ونشهد أن محمداً رسوله وعبده، اصطفاه واختاره بشيراً

ونذيراً، إمام الهدى، وسيد الأتقياء، وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى، وأنصاره الأوفياء، وعلى من بآثارهم سار واقتفى، واتبع سنة المصطفى، وبعد:

فقد حضر لدينا وبين أيدينا صاحب الشهامة والكرم والسماحة والهمم أحمد بن صالح ابن فلان المفلحي بعد دفرة الوجهاء والأعيان من أبناء البلاد إلى ساحته بالموصل والوصول، وسلّم القاتل نفسه وتقدم إليه بروحه وجسمه ليقتص منه أو يعفي عنه بما جرى منه على ابنه بدون عمد ولا نية عداء، وإنما قضاء الله وقدره وكان سبب موته، رأى صاحب الدم والقتل أن اعتراف المعتدي وتسليم نفسه ودفرة الناس جنبه فقد كان الكرم والجود من صاحب الدم بإعلان السماحة بالقتل وعفا عنه وسامحه وحرره وأعتقه أمام الجموع في الملم النايف الحضور المشرّف وطلب من الله الجزاء والأجر وأعطاه سجل السماح وأبدلوا العداء بالألفة والصحبة والله خير الشاهدين بحضرة الشهود فلان وفلان إلى آخره.

وهذه صورة لكلام جاء في حكم موصل بشان قتل:

عثرت عليه عند صهيري الكريم عبدالله بوبك عبدالواحد في قرية تي الشّرافس[1] الحكم بقلم الشيخ أحمد بن حسين المفلحي كتبت في رجب من عام ١٢١٧ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نتوكل ونستعين، على أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام

(١) من قرى المفلحي، تقع تحت نَعمان.

على سيدنا محمد خاتم النبيين. الحمد لله حق حمده، والمجد لله كافي المهمات، ومظهر النيات، والمكتفل في المخلوقات، في البر والبحارات، والأرض والسموات، العالم في الخفيات، والصلاة والسلام على خير البريات، ونسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يحرس ويمنّ بحكم أمنتها الحكام، وبشرائع الإسلام، يا أهل الحقيقة والشريعة، والمقامين على الطريقة السوية،[١] ويا علماء المسألة،[٢] إليكم من كثير من جميع البلدان من اليتيم والضعيف.

ثم ذكر بأن فلان ابن فلان خلق من الذكور ومن الإناث، هذا سؤالي وتنزيلي، ودعواي وشكواي، لأئمة الدين، ونور اليقين، أفتونا أبرّكم الله المُنزِّل على نبيه المرسل، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن أحرم وارث أحرمه ريحة الجنة .**ووثيقة أخرى قال فيها**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قدَّر وهدى، وطيَّع الأرض ورفع السماء، والحمد لله الذي تعجب من جلال قدرته القلوب، وتغفر بتمام رأفته الذنوب، وتستر بكمال عزته العيوب، وصلى الله على نبي الأمة، الذي نزل عليه الفرقان، وجعل أمته شهداء كما قال - سبحانه وتعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] وصلى الله على النبي الأزهر المرتضى، وعلى آله النجباء الفضلاء.

---

(١) تقسيم الدين إلى حقيقة وطريقة وشريعة من البدع المنكرة، أثمرت شراً مستطيراً.
(٢) فسرها المؤلف بالمسؤولية.

حضر لدي الشيخ عبد الله عبد ربه وهو يومئذٍ كامل العقل، بالغ الرشد، فصيح النطق، صحيح الجسم، كامل الوصوف الشرعية قولاً وفعلاً، وابتغاء وجه ربه الكريم سبحانه وتعالى، وعفا وسمح وتجاوز في دم والده عبدربه أبو بكر بن حسين وابتغى بذلك وجه الله، ومن عفا وأصلح فأجره على الله، ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً.

وذلك بعد وصل الشيخ الأجل المحترم سقاف بن أحمد حسين يحيى المفلحي، ومشايخ عيال يحيى بن قاسم، ومشايخ المكتب، وسمح على رأسه ابتغاء الله الكريم، وبرضا الله يكون له الجزاء في جنات النعيم، الذي لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم، تجاوز الله عن القاتل، وغفر الله للمقتول، وأقام وعز من شارك وأصلح في ذلك المقام المحمود، حرر بتاريخ شهر الفطرى عام ١٢٦١ هجري.

صور من وثائق قديمة للاستفتاء

الحمد لله وحده، حفظ الله ورعى، وحرس وتولى، وطال وأبقى، بحال ذات الصفات ساداتنا الأكرام الماجدين من جزى الله ذاتهم وبقا حياتهم منهم في الدنيا سعداء، وفي الآخرة من الشهداء، ساداتنا العلماء الخيرين، والميامين الحاكمين بالحق المبين، وفرائض الإسلام المتقلدين بالقُصّر والأيتام، يا من بحكمكم لا جعل ولا استقام المتجنبين، من الحرام والآثام الذي أنتم باحتفاظ القرآن والصلاة والسلام الذي أنتم في محل الأحلام، أن الشُّكا إليكم يا حاكمين بالحق الذي أمر الله من عصر محمد الصادق الأمين، الذي أقامكم

رسول الله وأنتم خليفته من بعد موته على الإسلام، يا من بحكمكم لا يخيف من اشتكى إليكم بالانصاف بالحق المبين الذي أمر به الله بين عباده (المسألة كذا وكذا).

المشهد والشترة والرزم والشقرة

واعلم أيها القارئ الكريم أن لأهل يافع تقاليد فيما يرتبط بالأرض وغيرها ففي يافع تقاليد تخص النزاعات والخصام وأبرزها بين الأفراد والجماعات.

مثلاً إذا شعر فرد بأن أحد الأفراد أو الجماعات ادّعى بكلام يصدر منهم ضده، أو وقع اعتداء عليه بالأرض أو المساقي أو غير ذلك، أو طُلب منه التوقف عن الرد بالعنف على من اتهمهم بالاعتداء عليه بالأرض أو المساقي، أنه لا يعمل أي شيء ضد من يتهمهم، بل يستدعي أمناء، أو يروح إلى عند الأمناء في القرية أو أعيان البلدة أو شيخ القبيلة ويضع بيداتهم مشهد، والمشهد عبارة عن قطعة سلاح: بندقية أو جنبية، والمشهد إلزامي يتقيد به الإنسان الذي يدفعه من يده إلى يد الأمناء، ولا يقدم على أي عمل أو يرد بعنف حتى يرد عليه الأمناء بأي رأي، بماذا قال غريمه؟ أو يرجِّعوا له المشهد إذا وجد الأمناء من غريمه الرفض والتعنت بذلك ويشعرونه بالرأي، والمشهد غالي الثمن أو غير غالي حتى ولو كان سكيناً أو شفرة يصنعها الحدادون من الحديد شبيهة السكين، وغريمه إذا هو يريد القبول بالوساطة والأمناء للنظر بالنزاع يقابل بمشهد مثل غريمه إلى يد الأمناء، والمشهد يعتبر مقود شرف والتزام، ويقول هذا مشهدي مشهد حق من فلان.

والشيء الثاني: الشترة يقصد بها قيس الأرض إذا كان أحد يدعي بأرض تقسم، أو بها زيادة بالقسم أو أحد ادعى بزيادة حِيَن[١] من الآبار والمساقي حق الأرض وقد تقررت الأسهم والتقاسيم والأحيان بالوثائق الحبل من الحبل متساوية، يقول أحدهم: هذه الشترة للقيس، والشترة معروفة يقدر طولها للحبل بستين ذراعاً مكفّفاً[٢] طولاً واثنعشر ذراعاً مكففاً عرضاً، ويطلب بها قيس الأرض لحل النزاع إذا كان نزاع على ماء أو تقسيم، وإذا يريد تصليب الأرض وعدم زرعها حتى تحل القضية أو تطلب الشترة لقيس مثل أرضه.

والثالث من العادات والتقاليد: الرَّزْم أي رزم الأرض التي فيها نزاع أو طلب شخص ولم يتجاوب معه سواء بالأرض أو بدَين، يروح إلى أرض غريمه ويضع فيها بوسط المزرعة صلأة[٣] من الحجر أو أزيد من حجر في عدة أمكنة، ويقولون فلان رزم أرض فلان، والرزم يعتبر منع الفرد من زراعة الأرض، وغريمه يطلب أمناء ليسألوا لماذا رزم الأرض؟! ويروحون إلى عنده لماذا رزمت أرض فلان؟! يشعرهم أنه يريد منه مطلب كذا، ويتوسط الأمناء لحل القضية، ويعتبر الرزم علامة للنزاع والمطالبة بحق.

ومن التقاليد والعادات بيافع: الشُّقرة، وهي قطعة من شجرة الشُّقُر ذي الرائحة العطرية ويستعمل أيضاً زينة على الرأس، فإذا أراد رجل منع رجل آخر من زراعة الأرض يرسل له شقرة لترك الأرض، وكَسَر

(١) جمع حِين، وهو نصيب المشترك في البئر.
(٢) أي يزاد الكف فوق الذراع.
(٣) الصلأة: حجرة رقيقة.

الخنزرة وارسل جزءً من الحجنة[١] جنب الشقرة لعلَّاق الأرض، أما إذا أراد إنسان منع رجل آخر بينه وبينه نزاع أو سمع منه أذية أو نقل عنه كلام يسيئ للسمعة يرسل له شقرة الطيب، ويمنعه من دخول القرية أو المنطقة التي يحددها مرسل الشقرة.

هذه الأمور كانت علامات وتقاليد أيضاً إرسال بياض صافي يرسلها أحد الغرماء لصاحبه بواسطة أمناء ويقول هذه ورقة بياض لأن فلان أرسل لي شقرة لتصليب الأرض، وأنا أترك هذا البياض اكتبوا بيننا أنه من فلج[٢] حاسب صاحبه أنا أو هو تالي اليوم، وعند حل القضية بالأخير أنه من فلج حاسب صاحبه في كل الخسائر والثمار حق الأرض، وإذا كتبت هذه الورقة وقّع عليها الغرماء والأمناء وصارت نافذة ملزمة للجميع لا يمكن رفضها وهذه نظم وضعوها وقوانين.

(١) الحجنة هي الخنزرة نفسها.
(٢) فلج: أُفحم، أي: خسر القضية.

أيادي يافع في المناطق الأخرى[١]

أثبت النسّابون في كتب التاريخ أن جد اليمنيين جميعاً قحطان، وسبأ أبو حمير وكهلان، قال الكاتب محمود كامل المصري: إن كتب التاريخ - وأثبتتها الحفائر والنقوش بالجنوب- أن الدول التي قامت بجنوب اليمن كثيرة، منها المعينيون والقتبانيون والحضارم ويافع في عدن والسبئيون والأوسانيون، وثبت أن ذا نواس الحاكم العربي من المناطق الجنوبية قبل غزو الحبشة الأخير للجنوب وبعد غزو الحبشة وتحرر اليمن منها بزعامة سيف بن ذي يزن، وكان لقبائل يافع الكبيرة الحميرية القوة والبأس والتصدي لكل الغزاة لليمن من الأجانب.

وذكر الهمداني وصلاح البكري في كتبهم عن اليمن قالوا: إن يافع أعظم قبائل حمير وأشدها قوة وبأساً وأصعبها مراساً وأكثرها عدداً، ولبسالة أبناء يافع وكرامتهم في النجدة لغيرهم استعانت بهم جُلّ قبائل الجنوب حين يهجم عليهم جائر أو غازٍ على مناطق جنوب اليمن وغيرها، وفي عهد العثمانيين حينما استولى العثمانيون على اليمن في عام ١٠٤٢هـ إلى ١٠٥٤هـ واستولت يافع على عدن ولحج وأبين، ذكروا أن العبادلة آل سلّام سلاطين لحج فخذ منهم، ولذا كتب سلطان يافع سيف بن قحطان اليافعي العفيفي لآل ابن سلّام العبادلة هذه

(١) ذكر المؤلف في هذا الفصل أحداثاً تاريخية من أزمنة مختلفة ظهرت فيها نجدة يافع لإخوانهم، وهي بحاجة إلى ترتيب أكثر.

الوثيقة قال فيها: هذا خطّنا الكريم شاهد بيد الشيخ سلام بن علي العبدلي بأنه منا وإلينا وأنه حليف ومن جملة قبائل يافع وخطنا شاهد بيده، بتاريخ شهر رجب سنة ١١٣٥هـ وأحمد بن فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن قال: آل سلام من يافع، وأن السلطان فضل بن محسن العبدلي كرّ بمجموع يافع على جنود الإمام عندما حاول الحكم على لحج والاستيلاء عليها، وحاصروا جنود الإمام حتى أجلوهم عن لحج وعدن واستولوا يافع، وقام أبناء يافع بطرد جنود الإمام وجيشه الذي جاء بهم من شمال اليمن إلى جنوبه، طردتهم قبائل يافع من حدود يافع العليا والسفلى ومن لحج وأبين والشعيب وجبن والربيعتين والظاهر وحرير وحالمين، ودامت الحروب بينهم وبين الإمامة باليمن إلى نهاية عام ١٣٣٧هـ.

وليافع يد في حضرموت وعونها لأهلها، فأولاً نذكر أن لحضرموت مجد تليد وهي موطن عاد وأقيال التبابعة، وملوك حمير وكندة وتجيب والسكاسك، وعاد هم بنو عاد بن عوض بن ارم بن سام، وأبناء عاد شدَّاد وإرم الذي بنى مدينة إرم في صحاري عدن، نقله صلاح البكري عن كتب التاريخ والنقوش، وقالوا في الكتب القديمة لقد وجد في حفرة بحضرموت بزمان معاوية بن أبي سفيان بيت في جبل منجور ووجدوا سريرًا وعليه رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح مكتوب فيه شعر يقول فيه:

اعتبر يا أيها المغرور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيدِ
وأخو القوة والبأس وذو الملك الحشيد
دان أهل الأرض طرا لي من خوف وعيدي

وعند ظهور الإسلام كان أول من وفد إلى الرسول ﷺ من حضرموت، ورأس الوفد هو وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل ابن معمر الحضرمي الكندي.

وحكم عدن وما جاورها في عام ٥٧٦هـ عز الدين عثمان بن علي الزنجبيلي والي عدن ولحج من قبل دولة بني أيوب.

وفي سنة ٨٥٨ هجري اشتد الخصام بين يافع: آل أحمد وآل كلد في عدن وكانوا أصحاب الكلمة في حكومة عدن في عام ٩٠٢ هجري، وكان الحاكم على حضرموت الكثيري وراح يطلب النجدة من الإمام بالشمال، فرأى الإمام أن هذا الأمر صعب فنصحه بأن يستعين بقبائل يافع ليساعدوه فعمل بالنصيحة فسار معه أربعة آلاف من يافع، وتم طلبه وهدفه.

وفي سنة ١١٦٥هـ[1] جهز الإمام جيشاً ليحتل حضرموت فاعترضه السلطان الرصّاص ولكن الرصّاص هُزم، وأراد الإمام أن يزحف على يافع فثارت الحرب، وعاد الإمام وحوّل وجهه نحو حضرموت فانتصر على الحضارم، وبعد فترة عين الإمام حاكماً من قبله هو بدر الكثيري، وفي عام ١٠٧٩هـ قامت الثورة والانتفاضة ضد الإمام.

وفي عام ١٠٩٣هـ ثارت على الإمام المهدي سلاطين يافع بقبائلها، والرصّاص والعوالق، وكان النصر حليف يافع، ذكر هذا الأمير أحمد بن فضل العبدلي في كتابه هدية الزمن، ووقفت يافع ضد الدولة القاسمية وثار يافع ضد عمر بن جعفر الذي كان استعان بجيش

(١) لعله ١٠٦٥، لأن الانتفاضة التي ذكرها لاحقاً كانت في عام ١٠٧٩هـ.

الإمام لعونه.

وبدأ حكم بني طاهر في عام **٩٣٣**هـ من عدن عاصمتهم وتعز، ومن أشهر حكامهم عامر بن عبدالوهاب، وفي حكمهم تركوا آثاراً إسلامية وبنوا جوامع كثيرة مثل جامع زبيد، وجدّدوا بناء جامع الجند الذي بناه الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، ومدينة الجند هي المدينة الأولى بعد صنعاء.

وارتفع اسم يافع في الجنوب، وبرزت الحكومة القعيطية بحضرموت بنظمها واسمها واشتهرت وصار لها عَلَمَها سلطنة القعيطي اليافعي، واستمرت والانجليز تحتل عدن وبعض المناطق حتى قيام الثورة بالجنوب والاستقلال من الاستعمار الانجليزي لها.

واعلم أن القبائل في جنوب اليمن والشمال قسم يسكنون المناطق الساحلية أو قريبة منهم وقسم من القبائل يسكنون الجبال والأرياف مثل قبائل يافع العليا وأغلبية يافع السفلى وقبائل المراقشة والفضلى وردفان وحالمين والشعيب والضالع والعوالق وبيحان والحواشب والصبيحة وحد يافع كاملاً.

وكانت الإمامة والاستعمار يدسون بين القبائل الفتن والحروب والعداء والقتل وصعوبة المواصلات، وكانت كل منطقة من مناطق يافع والجنوب وكل القبائل تعتمد على السير، نُظُمها وعاداتها وتقاليدها الموروثة عن الأجداد والآباء، وكانت الدراسات في معاليم عند الفقهاء وهي منتشرة بكل قرى ومدن يافع برغم القصور بالتعليم الراقي والكامل.

وكانت القبائل تعتز بالإسلام والانتماء إليه والمحافظة على

الفروض والواجبات وأركان الإسلام وبناء المساجد والجوامع والمآذن حسب وجود العلماء بكل منطقة.

ولمّا ظهرت بعض الظواهر المنحرفة عن الدين قاومها العارفون بالدين، ولما ظهرت الشيع والزيدية والقرمطة من جبال مسور بالشمال الذي ظهر به علي بن الفضل نقله من بلاد فارس مع رجل وفدا إلى اليمن، وتنقل علي بن الفضل من الشمال إلى يافع لطلب العون والنجدة على خصومه بالشمال وتمركز بخنفر أبين وزحف نحو اليمن ببعض القبائل من يافع وغيرها ونشر المبدأ له، ولم يجد لمبدئه آذاناً صاغية بيافع[1].

(١) القرمطة من النقاط السوداء في التاريخ، ويحاول المؤلف أن يبعد يافع عنها، ولكن العاطفة وحدها لا تكفي.

المعالم والآثار في قبائل حمير

اعلم أخي القارئ أنه عندما أصف لك أشياء من العادات والآثار إنما أقصد عن قبائل يافع العليا والسفلى، أي بني مالك وبني قاصد[١] وحد يافع والمناطق المجاورة لمناطق يافع والتي تسمى المناطق الشرقية لعدن والتي هي مرتبطة مع يافع وتتحد معها في كل شيء وتعتبر نفسها من يافع وترتبط بيافع حدوداً وقرابة، وتلك هي قبائل ردفان وقبائل حالمين والشعار والضالع والشعيب والحواشب والعبادلة وغيرها وفي هذه المناطق الحميرية جميعاً.

وقبائل يافع كانت ولا تزال كما كانت منذُ تلبية دعوة الإسلام والدخول فيه لا تخلو منطقة أو مكتب من هذه المناطق وفي أرض الجنوب بشكل عام لا تخلو من الآثار والمعالم التي تدل على أصالة القبائل وانتمائها إلى قبائل حمير وسبأ، كان فيها وفي ربوعها المعالم والعلماء الذين لم يخلو أي زمن من وجودهم من علماء الدين الإسلامي في كل مكتب وقبيلة وكان لهم الباع الكبير في حمل رسالة العلم، وخطاطين للقرآن وغيره وإذا رجعت للتاريخ وكتب السنة والحديث لوجدت الكثير في الأزمنة السابقة، وسأذكر البعض منهم العلماء في الدين مثل محمد العدني وعبدالله بن أسعد اليافعي

(١) الصحيح (قاسد) بالسين وتقسيم يافع إلى بني مالك وبني قاسد هو المشهور قديمًا، أما يافع العلياء، يافع السفلى، متسمية حديثة أحدثها الإنجليز.

وعبدالرحمن بن حسين النقيب وعبدالله مطهر حسين المفلحي الذي كان قد أشتهر بخطاط القرآن بخط اليد، وهادي عبدالله القديمي العالم وجابر شعيلة والقيفي وبن علي الحاج وعبدالرب بوبك الدغفلي من الذراحن في المفلحي وناصر سعيد الجرداني والحاج مثنى حسين الملقف وحيمد صالح والخطاط صالح محسن القديمي وقاسم صالح المفلحي.

وأشهر من خط القرآن بكل منطقة عبدالله مطهر حسين بن حسين عمر المفلحي والذي قبر في منطقة حبيل الجبر بردفان، وله رسالة بالتوحيد لم تطبع، وبهذه المناطق والمكاتب المعالم الدينية بناء المساجد والمنارات منذُ مئات السنين، ووجدت المآثر في مناطق يافع بالحد وغيرها في الخرابات والمقابر ووجدت مآثر ببلاد خِلِه بالمفلحي، وتوجد معالم السدود والقصور والمواجل والآبار والنُّقْوَل، وتوجد السدود والمواجل الكبيرة بكل منطقة بالحد والحضارم والقعيطي ولبعوس والضبي وثمر والعرّ ورأس نقيل عمران ورهوة ضيك ورهوة تي مرار بالمفلحي ورهوة الماجل وجبل الشبر بالمفلحي والميسري وسد أسفل وادي بن عماري، وبِرْكات وسقايات توجد بكل مكان خاصة الطرق العامة سابقاً والنُّقْول، من أجل الصلاة وسقي الحيوانات وكذا مآثر مثل المدافن لخزن الحبوب، والمقابر، والمخطوطات، وتوجد الرسومات بالمساجد والبيوت: رسومات بالتراب المعجون وكذا المصابيح من الرخام والصفر في الدور والمساجد، والنحاس، والسيوف والخناجر والأقفال الخشبية وكذا الحلي والوثائق وحفر الآبار بكل وادٍ ومنطقة، والحواجز، وتوجد المعاصر المصنوعة من الصخر لعصر الجلجل وغيره، وحفرة من الصخور توجد بمدينة الجُربة عاصمة بلاد المفلحي وغيرها، وأيضاً توجد بيافع معاصر الخشب الضخم

لعصر زيت الجلجل والترتر وغيرهما، وصنع السِّدد للبيوت أبواب من خشب العلب والأبواب، وصناعة النورة البيضاء للدور والمساجد، وصنع ميازين العود بالأرطال والمكاييل من الخشب وصنع الباروت والسيوف والنمش وصياغة الفضة والحلي والجنابي، وتوجد السدود والمواجل الكبيرة من الآثار، توجد بالسليماني ومناطق بلاد مشألة بكل منطقة والجبل لعلي وآثار الديور والخرابات بالمناطق والجبال وفي حالمين وردفان والضالع والشعيب وخِلِه وجبل حرير وجبال حالمين وفي كل مكاتب يافع العليا والسفلى، وإنما ذكرت ما رأيت وعرفت منها وتوجد الحصون الخالية رأس الجبال والأودية، وكذا المقابر في مواقع غير مسكونة الآن، وهناك موقع لسوق في رها والمحصن بالنجاد يسمى سوق عامر عبدالوهاب، وسدود صغيرة على الطرق العامة بردفان ونقيل المعدي بحالمين وقِلَت[1] المحصن المملوء بالماء تحت الجبل إلى الآن لا يزال الماء فيه، وهناك حمَّام الماء المعدني الحار للاستحمام يروده الناس، حمام ليرهد بين أهل سعيد وريو، وحمام شرعة الزغر بحالمين، وتوجد سدود ببلاد الجعشاني، وسد حوض البركة الكبير بين عثارة وأهل يونس، ومواجل في الربيعي، آثار قديمة من السابق مما يدل أن هذه الآثار والمعالم بتلك المناطق[2]، وهكذا ستظل يافع القوة يافع الشباب يافع الجَلَد يافع الفتوة والشهامة والعزة والمجد والكرم.

(١) جمع قِلته، وهي حفرة ينبع منها ماء.

(٢) ويوجد في كلد بالشرق من جبل قسبي مدينة أثرية يقال لها مدينة دخان، فيها آثار ونقوش قديمة جدًا.

ترويض الأجسام واللياقة البدنية

إن ترويض الأجسام عند أبناء يافع ككل، فالأجسام الصحيحة والقوية لديهم تأخذ مناعتها ورياضتها من العمل اليدوي - لكل مواطن في يافع وما جاورها ذكوراً وإناثاً - العمل في المزارع والنقل للحاجات سابقاً وكثرة نشاط الحركة والتجلد والعمل للكسب اليومي في المزارع والعمران ونقاشة الأحجار والتحمل، وأكثرها في المزارع بالبتلة بالخنازر مثل مهرة الشتاء بعد رسو الشمس في شهر اثنعشر ميلادي ترسو الشمس في الثاني والعشرين من ديسمبر وعند رجوع الشمس من رسوها في الشتاء يبدأ نجم حادية، والمثل يقول: خير بتلة في حوادي وسابعه جح زربي[١]، ومن هذا الموسم يبدأ المزارعون بمهرة الشتاء للأرض والفراش للمزارع وهو إخراج الحصى (الأحجار الصغيرة) وردم الأسوام (لادان) لكل طين وخاصة أراضي الشعاب المدرجات الصغيرة بالجبال والشعاب.

وثانيها أيضاً مهرة الصيف بالخنازر تسمى مهرة ملء الذلقي[٢] للخنزرة، ومساواة الأرض والأسوام وتنظيفها من الأحجار والأعشاب

---

(١) أي حراثة الأرض النافعة تكون في موسم حادية، ولا تتأخر إلى سابعة، فإذا تأخرت إلى سابعة فلا فائدة في المحصول، وقد سبق الكلام على هذا المثال في باب الأرض.

(٢) الذِّلق: الحدّ المدبّب.

والنَّيس ودمان الأرض، والدمان هو السماد البلدي يُسفخ[١] أمام العمال الذين يبتلون الأرض، سماد البقر والغنم وكل الحيوانات.

أيضاً العمل بالنَّقُول، وعمل النقول لا يعمل فيه إلا أقوياء الأجسام لأنه شاق ويحتاج إلى خبرة ودراية فيه، وخنازر النَّقُول تكون كبيرة الحجم والطول والأذلاق، وتقدر خنزرة النَّقُول للبتول العامل في النَّقُول بالأرض بخمسة أرطال والبعض أربعة أرطال لأن العامل يقلِّب فيهن تربة الأرض في مشقيب عمقه يقدّر بفوتين أو ثلاثة فوت، ويقلِّب التراب الذي فوق إلى بطن الأرض، والمزارع يقسِّم الأرض سابقاً إلى ثلاثة أقسام، كل ثلث من أرضه الزراعية ينقلها في سنة واحدة.

وعند المزارعين أعمال موسمية في المزارع، كل موسم له مهرة تخصه في الأرض ونوعها، في الصيف البتلة للأرض بالنَّقُول والمهرة المتوسط والعمل على بتلة الأرض على البقر الضمد من الذكور أو على الحمير أو الجمال سابقاً، ثم بعد مطر الصيف ذرئ الأرض بحبوب الذرة البيضاء المسمى بذرة الجعيدي، والذرة أنواع كثيرة كل نوع له اسم مثل: العرمي وسبوله كبيرة تشبه فم الجمل وعوبلي ورباعي وظاهري ونفَّاش وصيفي ومسرِّعة حبّها أحمر وسنيسلة وغاربة بيضاء بلدي وغاربة حمراء بلدي وغاربة بُنّي بيضاء وحبّها أصفر وغاربة حمراء ثلاثي، والدخن القريضي والدخن الحسيني، والذرة الكبيرة التي تسمى بالشام.

ثم بعد ذلك الموسم للصيف يأتي بعد ارتفاع الزرع من البذور من

---

(١) يُسفخ: يُذرّ.

الذرة يرتفع الزرع بقدر شبر وأكثر يبدأ العمل بمهرة القيضية وتنظيم الزرع، ثم يأتي موسم العمل بالمزارع عندما تكون المزارع قد أخذت زينتها وارتفعت عالياً إلى أن يغطي الرجل من الزراعة يبدأ مهرة العلانية وإخراج السفولة من أحجار الزراعة.

ثم يأتي العمل بالمزارع بعد وضوح الحب وامتلائه في السنبل ويبدأ بياضه، وأول النجوح يبدأ برياش ورق الزراعة الطويلة وتعصيبها خوفاً عليها من الرياح، كما يأتي بعد ذلك العمل عند نضج الحبوب للذرة في المزارع يتم الحصاد لتلك المزارع، والحصاد يكون في الأرض بعد أن تحشج[1] الزراعة من أسفل قصب المزارع ويترك أسفل القصب جذور بقدر فوت ونص وفوتين وأحياناً أطول من ذلك خاصة الغاربة، ثم تنتج الجذور حق المزارع من الذرة المتنوعة وقلعه من الأرض وتسوية الأرض، ويأتي بعد ذلك سقي الأرض التي كانت زارعة بالذرة تسقى بالماء من الآبار والغيول والمواجل والمكال وتسمى سقاة التثرية من أجل بذر البُرّ (القمح) وبعد أن تجف الأرض من السقي يقوم المزارعون بالبتلة للأرض لزراعتها بالبُرّ، والبر أنواع كثيرة، وأجودها بر السمراء الكبيرة الحمراء وبر الميسان وبر العلس والشعير، واستمرار العمل بالمزارع مفيد للأجسام والحركة.

(١) الحشيج: هو قطع القَصَب من أسفله بالمنجل.

الرياضة اليافعية

أما الرياضة للأجسام من سابق في يافع وغيرها فهي عديد مبسطة، منها رياضة السباق كانت سابقاً على الخيل والجمال والحمير ثم سباق الأفراد وخاصة الصغار من الشباب، أيضاً رياضة الرماية على الأسلحة المنوعة وأبناء يافع من الذين اشتهروا في اتقان الرماية منذُ الصغر ويجيدون الرماية بالأسلحة منذُ قديم الزمان.

وكانت رياضة الهمل بين فريقين، فريق ينقسم على جهتين من المكان الذي يكون فيه اللعب والفريق الآخر يتوزع على الجهتين للفريق الأول الواقف في محل محدد يحاول الفريق الواقف بالجهتين يحاول مسك أي فرد يمر أمامه في مسافة محددة أو يحاول الفريق الثاني اللمس فيه ويهرب واللمس بالكف، ومن مُسك من الفريق الثاني يجلس من فريقه، والفريق الثاني أي فرد منهم يلمس بيده بأحد الفريق الأول ولم يمسكه الملموس يجلس عن فريقه ويسقط حتى ينتهي آخر واحد من الفريقين.

ثم رياضة ولعبة التخبي فريق يتخبى وفريق يبحث عنه في الأمكنة ثم يخرجه، أيضاً لعبة ورياضة الغبين، وهي لعبة المصارعة بين نفرين وإبراز من هو الأقوى،أيضاً لعبة الكبن من التراب في محل سري فريق يروح ويتفرق أفراد الفريق ويعملون أكوام صغيرة من التراب الكوم الواحد بقدر البيضة الكبيرة في محل سري ويعود إلى المحل الذي فيه

الفريق الثاني الجالس في المحل المحدد الذي كان فيه الفريقان أولاً، ويطلب الفريق الأول من الفريق الثاني بالذهاب للبحث عن موقع الأكوام من التراب، فيروح الفريق الثاني وكل فرد يبحث عن موقع الأكوام ونسفها إذا وجدها فيه ثم الرجوع للفريق الثاني وإشعاره بنسف الأكوام أو عدم وجودها، فيروح الأول الذي وضع الأكوام ليتفقد الأكوام وكم بقي منها وتحسب نقاط بما بقي من الأكوام، ويعتبر الفريق الفائز إذا لم يتحصّلوا على الأكوام أو بقي من الأكوام لم يعرفوا عنها، أيضاً لعبة الدعامة من الأحجار الرهيفة وتبنى شبه منارة وتسمى منارة ويقوم فريق مهمته نسف المنارة أي الدعامة وفريق يتبنى بناء المنارة ويدافع عنها والآخر يحاول هدمها بدون أن يصاب بأذى من الفريق المدافع عن المنارة ودقها بكبة من الخرق تبرم والفريق الذي يدافع عن المنارة يهاجم ويرمي بالكبة أحد أفراد الفريق الآخر الذي يحاول هدمها.

وكانت سابقاً لعبة السبل الـمَسْبوع والـمَتْسوع والمخموس والمسدوس وهذه لعبة تشبه لعبة الشطرنج ووضع حصوات صغيرة نصفها حصوات بيضاء ونصفها سوداء، ويكون الأبيض لفريق والأسود لفريق، أو وضع حب عجم التمر بجهة وبجهة نوع آخر، والذي يفوز فيها ويأكل أو يهزم صاحبه أو يكون وضع الحصا الأبيض والحصا الأسود واحدة بواحدة، وكل فريق يحاول أكل حصا الفريق الآخر إذا تحصل على فراق أو التنقل من موقع إلى آخر فارغ في أي جهة مقابلة لذلك أول نقلة، ويأكل إذا حصل فراغ بحق ضده أن يأكل واحدة أو ثنتين أو ثلاث إذا وجد موقع للتنقل والخطو من عليها إلى آخر من مواقع الخطوط المرسومة بالمواقع داخل الخطوط المربعة.

كما كانت سابقاً لعبة ورياضة البرع بالسيوف والجنابي اللمّاعة اليافعية المشهورة بيافع والأسلحة ولها أي البرعة حركات متعددة: برع السيف والذي فيه الرجوع إلى الوراء من وسط الخط الذي مشى فيه ثلاث خطوات يعود للوراء ثلاث خطوات بحركة البرع على دقة البرع، ثم يمشي أمامه بالبرع إلى قدر ست خطوات للأمام وهكذا بالطرف الآخر يعود ويمشي ثلاث خطوات، ثم يعود للوراء ثلاث خطوات، ثم يستمر إلى ست خطوات، ثم برع الزوامل والمحاف وبرع الزواج للشواعة ثم الرقصات التي هي بدون جنابي.

ولعبة البُن بالدحراج للبن أو بالرمي إلى داخل الحفرة، ومن الذي يستفيد ومن الذي يخسر، ولعبة الحال بالقصبة والحلس[١] وضرب الحلس إلى بعيد بالقصبة، إن لقفه الفريق الآخر بالهواء وإلا رمى إلى الموقع، إن أصابه طلع اللاعب وإن ما أصاب الموقع بالحلس، وكلما بعدت الرمية عن موقع الحلس الذي رُمِي منها سار العدد للاعب بالقصبة ملء القصبة تعد بعشرة، وللعبة الحال بالقصبة ثلاث حركات لرفع الحلس، أولاً باليد اليمنى يرفعه بالقصبة ويخبطه إلى بعيد وإن ما أصاب الحلس سقط اللاعب وجاء آخر، وإذا أصابه ورماه الخبطة الثانية بالقصبة لرمي الحلس باليد اليمنى ويدخلها من بين رجليه[٢] ويخبط الحلس ليرميه، الحركة الثالثة يخبط الحلس بالقصبه ليرميه

(١) تسمى في بعض مناطق يافع بالمُصْعدة، وأدواتها عصا طويلة تسمى المُصعدة، وهي التي أسماها المؤلف بالقصبة، وعصا صغيرة تضرب بالعصا الطويلة تسمى بالمُصعد، وهي التي أسماها المؤلف بالحلس، وحَجَرَتان توضعان متوازيتان يرُكّب عليهما الحلس.

(٢) ويسمى الفَشَخ.

ويلوي يده اليمنى من وراء رجليه[١] إلى جهة اليسار ويرفع الحلس للجو ويخبطه بالقصبة ويرميه إلى بعيد، ويحق للذي يخبط الحلس بالقصبة إذا ما أصابه بالرفعة الأولى يعيد رفعه ثانية بالثالثة إذا رفعه ولم يصب الحلس للرمي.

كما كانت سابقاً لعبة القفز والبعض من يسميها لعبة قفز الجمل، يتمرّن الأطفال على القفز على شيء صغير ثم على قفز حواجز مثل القفز على تخطي كم درجة من سلالم النُّقْول أو ما شابه ذلك، أو القفز في ساحة ميدان مع تقدير المسافة المعقولة أولاً ثم يتبارى الأفراد، ويعدي الواحد ويقفز إلى أي مسافة يقدّر، وحتى يعرف من هو الذي يقفز إلى أبعد مسافة من عند رفع الأرجل إلى حيث يحط وأقصى واحد هو الفائز، وهناك قفز كان يلعبه الشباب لمعرفة من هو الذي لديه القدرة للقفز بالهواء وتخطي ما يضعونه من حاجز، وكان الأفراد بهذه اللعبة يكونون فريقين، فريقاً الذي يضع نفسه كأنهم حواجز ويكون كل فرد شبه حاجز يستقيم الفرد منحني الظهر بشكل قوس واحد بعد آخر بين كل فرد وآخر مسافة خطوتين ويقف عدة أفراد خاصة للذين قد تمرنوا كثيراً على القفز والفريق الآخر يعدي ويقفز حاجزاً بعد حاجز ومعرفة من الذي يتعدى الحواجز كلها والقفز يكون من مقابل وسط الظهر كما رسم، وأول شيء يلعب الشباب على حاجز واحد ثم الثاني وكلما أتقن زاد.

أيضاً كانت سابقاً لعبة الطمر أي القفز بالأرجل إلى درجات رفيعة وعاليه يتمرن الفرد بالقفز على محل يكون ارتفاعه يساوي أسفل الصدر

---

(١) ويسمى الكَيْل.

للإنسان إذا استقام جنبه ويضع كفوف يداته ثم يقفز، وإذا أتقن ذلك وكانت عند الفرد قوة بدنية يقفز بدون وضع اليدات بكلتا رجليه سوياً والذين يجيدون هذه اللعبة وتمرنوا عليها كان الفرد يقفز برجليه أعلى من ذلك بدون وضع يداته أولاً، وقفز آخر أرفع صرح يحاذي الرقبه يعتدي الفرد ويضع كفوفه ثم يقفز برفع الرجلين.

يافع عبر التاريخ والغازون[١]

هو يافع بن زيد بن مالك بن زيد بن رعين الرعيني ويُقال لهم بنو مالك، وجاء في كتاب يافع عبر التاريخ للشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي أن مساكن رعين حول لحج وهو دليل على المنطقة المعروفة بيافع وما جاورها، ذكر هذا الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، ويدل هذا أن قبائل اليمن الجنوبية أصيلة من حمير وسبأ ورعين وكلمة بنو مليك يقصد بني مالك.

وجاء في حاشية الإكليل للهمداني وفي كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ذكر أن علي بن الفضل من جبال مسور في اليمن الشمالي وهو صاحب مبدأ القرمطة، وقال أيضاً ولا يزال في اليمن ولاسيما في حراز بقايا الإسماعلية ومن مهاجرتهم إلى الهند جماعة البهرة أتباع طاهر سيف الدين وما هو بحراز شاهد إلى يومنا هذا بتقديس الزعيم الذي يأتيهم من الهند آل نور الدين.

وأما عامر بن عبدالوهاب الذي حكم اليمن وعمل النُّقْوَل والأسواق في اليمن كان يسمى الملك الظافر.

وفيما بعد ذلك بدأ الإمام المتوكل شرف الدين مؤسس الزيدية بدأ باتخاذ صنعاء عاصمة له بعد أن كانت صعدة هي العاصمة من قبل.

---

(١) ذكر فيه معلومات تاريخية متفرقة غير مرتبة.

وفي عام ١٥٥٨م بدأ إدخال زراعة البن في اليمن وانتشار القات ومعرفة البن والقات الذي كان موجوداً بالأرض، كما ذكر في تاريخ محمود كامل: اليمن شماله وجنوبه، وجاء في موسوعة الإسلام إن البن أول ما نشأ ووجد في جنوب اليمن جنوب الجزيرة العربية وبدأ استعماله في عدن.

وفي هذه الفترات غزا البرتغاليون بعض مناطق اليمن وأولها جزيرة سقطرى وحاربت القوات المصرية بقيادة حسين الكردي متعاونة مع قوات عامر عبدالوهاب ضد البرتغاليين.

وبعد تلك الفترة فتح العثمانيون اليمن واستعانوا بأحد البحارة من اليمن الجنوبية هو أحمد بن ماجد، وابن ماجد هو الذي اخترع البوصلة، ولابن ماجد كتاب سماه: "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" وذكره المستشرق الفرنسي فيراند Ferrand نشر في ١٩٢١م، وذكر كتاب للجغرافيا الملاحية ملّاحاً في الجنوب العربي هو سليمان المهري من مدينة الشحر بحضرموت.

وفي عام ١٦١٤م جاء الهولنديون إلى عدن في سفينة بقيادة فان دن بروكه.

وفي القرن السادس عشر ظهر بيت الكثيري في حضرموت للحكم.

وبعدها في ١٨٣٩م احتلت بريطانيا عدن.

وبعد فترة ١٦٢٠م حكم اليمن معظمه الإمام محمد بن القاسم وإسماعيل بن القاسم لفترة طويلة وأول ما انتهى حكمهم من حضرموت، ثم تعاهد أمراء المناطق الجنوبية وجرى التعاهد بين اليافعي والرصّاص والفضلي والعولقي والهيثمي (دثينة) والعبدلي كما

نقله المؤرخ الحسن بن أحمد الحيمي في كتاب "حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر".

وفي عام ١٧٣٢م خرجت لحج من حكم الزيدية واستقلت، وبعد ذلك تعاهدت لحج في عهد فضل بن علي العبدلي مع يافع، وخضعت لحكم العبدلي بفضل الحلف مع يافع الذي تحالف فيه فضل بن علي العبدلي مع يافع بقيادة السلطان.

أما احتلال الانجليز لعدن فكان في يناير عام ١٨٣٩ ميلادي بقيادة الكبتن هنس، وفي سنة ١٣٠٥ هجري الموافق ١٨٨٨ ميلادي تمت المعاهدة بين بريطانيا وسلطان العقارب، وفي عام ١٩٠٣ تمت معاهدة مع مشايخ مكاتب يافع العليا جميعاً والسلطان بن هرهرة ومشيخة الشعيب كما نقله حمزة علي لقمان.

وفي سنة ١٩٤٩ ميلادي قتل سلطان يافع العليا صالح بن عمر هرهرة بمنطقة حَلْين.

وفي سنة ١٩٥٩ ميلادي كانت سلطنة يافع السفلى إحدى ست ولايات كوّنت اتحاد امارات الجنوب العربي، وفي سنة ١٩٦٣ ميلادي انضمت إلى الإتحاد في الجنوب مشيخة الشعيب، وفي عام ١٩٦٥ ميلادي انضمت إلى الاتحاد مشيخة العلوي ومشيخة المفلحي خله، ورفضت قبائل المفلحي الجبل الانضمام إلى الاتحاد وتم إبلاغ بريطانيا بذلك.

وفي ٨ مايو ١٩٦٧ ميلادي قتل هدار ابن السلطان محمد بن صالح هرهرة في الشيخ عثمان.

من تاريخ اليمن عن يافع عن حسين شرف الدين[١]

ذكر حسين شرف الدين في كتابه عن أسماء قبائل اليمن وأنسابها كما ذكره المؤرخ الهمداني قال إن ذا الذي منهم جعفر بن إبراهيم المناخي صاحب المذيخرة، والذي وقعت بينه وبين علي بن الفضل المسوري والذي يسمونه بالخنفري وهو من جبال مسور وقعت بينهم معارك في وادي نخلة.

وذكر عن بني صيفي بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر ذكر من قبائلها، وقال وجد هذا في نقوش رقم ٢٥ يفعان وذكر خنفر يافع العليا منهم محمد بن ريان الخنفري، وذكر من الأصابح ذو أصبح الحارث ابن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن حمير الأصغر، تقع مساكنهم بين يافع وباب المندب وهم قبائل الصبيحة، وإليهم ينسب مالك ابن أنس الأصبحي صاحب الموطّأ[٢].

وذكر شرف الدين عن الهمداني في الإكليل أنه جاء ذكر لأصل يهر يافع ذو يهر يعفر ابن الحارث بن سعد بن مالك، ومن ذو يهر فخذ بيفعان (أي بيافع)، وذكر يحصب بن دهان بن مالك بن سعد بن مالك

---

(١) ربط المسميات المعاصرة بالتاريخ القديم فيه نظر، لأن البلاد والعباد والأسماء قد تغيرت كثيراً.

(٢) وهو الإمام الكبير الذي ينسب إليه المذهب المالكي، والموطّأ كتاب مهم في الحديث كان أصح كتاب قبل ظهور صحيحي البخاري ومسلم.

في لحج، وذكر الهمداني قبائل منها قبيلة ذو داعر (وهي الآن بريو) وذكر بني وائل بن سدد بن زرعة بن حمير بن سبأ الأصغر منهم قبائل بالسرو من يافع (وأظنه يقصد جهة بني بكر بن وائل حد يافع)، وذكر ذا ذرحان وهي قبائل الذراحن بالمفلحي، كما ذكر الهمداني في كتابه الجزء الأول من الإكليل أن قبيلة بني حسن الذراحن من أقدم القبائل بيافع، وذكر يافع السرو قبيلة فاد بن منبه وينتمي إليها أحمد بن علوان صاحب يفرس، وذكر من المناطق في يافع حصبان بناء وجحيملان وكلاهما في يافع ومنهم الآريون والذراحن وبنو قاصد وبنو شعيب وبنو جبر وكلد وأملوك يافع وبنو صائد والأوصوف وبنو مليك وكلها بيافع وما جاورها، يسرة ناشر وهدوان ونهى وتبن يمر بلحج، وذكر هجران بلغة سبأ وحمير وشربان وجحلان وذو ردم وذو ساو وثوبة وهي موثبة باجعود يافع، وذكر شكع وحصن بلاد المفلحي بيافع وثمر يافع والأهجور بيافع السفلى والأشبام بحضرموت، وكلمة يافع انتساب إلى جدهم الأول.

نصيحة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، عبده وصفيه وخاتم رسله المبعوث رحمةً للعالمين فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين أما بعد:

أيها القارئ الكريم حتى لا يخلو هذا الكتيب من النصيحة وتقديم شيء ولو بسيط من نور الإيمان، لتعلم أن الله سبحانه وتعالى ما خلق الكون عبثاً وإنما خلق كل شيء بحكمته، وجعل كل المخلوقات تسبح بحمده وتعترف بوحدانيته، وأنه وحده سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد، خالق الكون وما فيه، المستحق للعبادة، لا شبيه له ولا مثيل، قدّر كل شيء، الخالق الرازق المبدِئ المعيد الحي الدائم، خلق الإنسان وعلّمه البيان، والشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، خلق الإنسان لعبادته وحده واكتفل برزقه وحدد كلَّ شيء له: رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذّاريَات: ٥٨] وقال في الحديث على لسان نبيه محمد ﷺ: (يا ابن آدم خلقتك من أجلي وخلقت كل شيء من أجلك).[1]

(١) هذا ليس بحديث وإنما هو من الكلام المنقول عن بعض الكتب المنزّلة، انظر كتاب فيض القديرشرح الجامع الصغير للمناوي٥/ ٤٦٦ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

واعلم أن توحيد الله بكل شيء هو أساس كل فوز ونجاح ومصدر الحياة الطيبة والعزة والكرامة فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فوحِّد الله بكل شيء في حركاتك وسكناتك وقولك وفعلك فأنت لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] فإذا دعوت فادع الله القريب المجيب الذي لا يخفى عليه خافيه في الأرض ولا في السماء، ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرّعد: ١٠] سبحانه يسمع دبيب النملة السوداء في الصخرة الصماء في الليلة الظلماء يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦] (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] اعبد الذي خلقك من العدم وجعل بدايتك من طين ونسلك من سلالة من ماء مهين أعبده وحده بما شرع لك على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، جعل طاعته فرضاً واتِّباعه واجباً وقوله مقبولاً وسنته شرعاً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النِّسَاء: ٥٩] والرسول ﷺ يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما).[2]

اعبد ربك أخي المسلم وحافظ على الصلوات الخمس، فإن

(١) أخرجه لبُخَارِي (٦٠٢) و"مسلم" (٦٣) و(٦٤) و"ابن ماجة" والتِّرْمِذِيّ" ٢٦١٥ و"النَّسَائي" ٨/ ١٢١ و"أبو داود" ٤٧٩٥ و"ابن ماجة" ٥٨عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٠٧(١٣١٨٣) و٣/ ٢٧٨(١٤٠٠٤).

الصلاة صلة بينك وبين خالقك، والصلاة هي العنوان والفارق بين الإسلام والكفر، وأدِّ الصلوات بأوقاتها وحافظ على الجمع والجماعات، واحذر من الشيطان وجنوده الذين يريدون أن يخدعوك عن ذلك، واعلم أن الأركان الخمسة (أركان الإسلام) مرتبطة بعضها ببعض واجب أداؤها جميعاً والمحافظة عليها كما أمر الله ورسوله، وأركان الإيمان الستة، والإحسان، والإيمان بالغيب والقضاء والقدر والجنة والنار والحساب والعقاب، وأنك ستقف أمام ربك للحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ستقف أمامه للحساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، يوماً عبوساً قمطريراً، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تزلزل الأرض زلزالها، وتخرج الأرض أثقالها، ويقول الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها - يوم يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم.

اعبد الله وحده ولا تتبع الضُّلَّال، واحذر الإلحاد والضالين والمبتدعين والطوائف الشاذة والمتاجرين بالدين الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، تمسّك بالكتاب والسنة فإن كتاب الله هو النور المبين والصراط المستقيم، من حكم به عدل، ومن اهتدى به هداه الله، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، كتابه المبين، وصراطه المستقيم، كتاب فيه الهدى، كتاب عربي مبين فيه كل شيء ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨][الأنعام: ٣٨] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩] اعبد الله مخلصاً له الدين اعبد الله وحده، لا تدعو غيره، ولا تستغيث إلا به، ولا تخاف إلا منه، ولا تذبح إلا له، ولا تخشى سواه، اعبد

الذي أسبل عليك النعم، وسخر لك ما في السموات وما في الأرض، وفضّلك على كثير مما خلق، وجعلك خليفته في أرضه، جعل السموات ونجومها لخدمتك، والأرض وما فيها من بحار وجبال وأشجار وحيوان تحت طوعك ونفعك، أنعم عليك بالسمع والبصر والشم والطعم وصوّرك، فتبارك الله أحسن الخالقين، أنعم عليك بنعم لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

اعبد الله وأخلص له العبادة وكن صادقاً أميناً عادلاً وفيًّا، إذا قلت صدقت، وإذا وعدت أوفيت، وإذا أؤتمنت أدّيت، لا تخن الأمانة، ولا تخلف الوعد، ولا تنكث العهد، ولا تكذب بالحديث، احذر الدجالين والمشعوذين والكهنة وأصحاب الطرق والحقائق والأحزاب والمتعصبين، فإن شر البلية التفرق والعصمة والعزة بالاعتصام بكتاب الله، ف﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] خلق الإنسان وعلَّمه البيان، علّم الإنسان مالم يعلم وكل مخلوق ميسر لما خلق له، ثق بالذي خلقك وادعه وحده، (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**)[1]

واعلم أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والخير قد أبانه الله ورسوله، قال ﷺ (لا خير إلا دللتكم عليه

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣(٢٦٦٩) و١/ ٣٠٣(٢٧٦٣) والتِّرْمِذِيّ ٢٥١٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ولا شر إلا حذرتكم منه)[1] يقول الله سبحانه ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البَلَد: ٨-١٠]

احذر أخي المسلم من يوم تقول فيه يا ليتني قدّمت لحياتي، أو تقول يا ليتني كنت تراباً، واعلم أنه قد خاب من دسّاها، وقد أفلح من زكّاها، انظر أخي وتفكر جيداً مم خلقت؟! خلقت من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فالذي خلقك قادر على أن يعيدك للحساب، والذي خلقك من ماء دافق ألا يستحق العبادة وحده.

أخي حافظ على دينك، وأدِّ الفروض المكتوبة بأوقاتها، واعمل بأركان الإسلام جميعاً، بأداء الزكاة بالحول، وصوم شهر رمضان، والحج، وآمن بما أخبر الله ورسوله من المغيبات، واحذر من غرور الدنيا وزينتها ألّا تلهيك عن أداء ما أوجب الله عليك.

واحذر من الغرور والتبعية والتعصّب، واتباع أصحاب الفرق الذين يتعصبون لأحزابهم وفرقهم، فإن الله ذم التفرقة والاختلاف، اعلم أن الله أمرك بالاعتصام بكتابه ونهاك عن التفرق، ولا تكن من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون، وما أصاب الإسلام والمسلمين من ضعف ووهن إلّا بسبب البدع والتفرق إلى مذاهب وطرق وشيع، اتق الله حيث ما كنت، واصبر على ما أصابك، واقنع بما قسم الله لك، ازهد بالدنيا يحبك الله، وازهد بما عند الناس يحبك الناس.

---

(١) لم أجد هذا اللفظ في كتب الحديث.

تـوكّـل عـلـى الـرحـمـن فـي الأمـر كـلـه
ولا ترغبن في العجز يوماً عن الطلب
ألـــم تـــر أن الله قـــال لـــمـــريـــم
وهـزي إلـيـك الـجـذع يـتـسـاقـط الـرطـب
ولـو شـاء أن تـجـنـيـه مـن غـيـر هـزةٍ
جـنـتـه ولـكـن كـل رزق لـه سـبـب

والصلاة والسلام على نبيه المصطفى محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه.